المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة
وكالة الجامعة للشؤون التعلمية
الإدارة العامة للمعاهد والدور
إدارة التوجيه والمناهج

البلاغة الواضحة

الصف الثالث الثانوي

مقـرر الفصـل الدراسـي الأول

بسم الله الرحمن الرحيم

(٣) الاِسْتفهام وأَدواتُه

ا ـ الهمزة وهل

الأَمثلة :

ا
- ب
  - (١) أَأَنْتَ الْمُسَافِرُ أَمْ أَخُوكَ ؟
  - (٢) أَمُشْتَرٍ أَنْتَ أَمْ بَائِعٌ ؟
  - (٣) أَشَعِيرًا زَرَعْتَ أَمْ قَمْحاً ؟
  - (٤) أَرَاكِباً جِئْتَ أَمْ مَاشِياً ؟
  - (٦) أَيَصْدَأُ الذَّهَب ؟
  - (٧) أَيَسِيرُ الْغَمَامُ ؟
  - (٨) أَتتحرك الأَرْضُ ؟
- (٥) أَيَوْمَ الجمعةِ يَسْتَرِيحُ العُمَّالُ أَمْ يَوْمَ الأَحَدِ؟

* * *

حـ
- (٩) هَلْ يَعْقِلُ الحيوان ؟
- (١٠) هَلْ يُحِسُّ النبات ؟
- (١١) هَلْ يَنْمُو الْجَمَاد ؟

البحث :

الجمل السابقة جميعها تفيد الاستفهام ، وهو كما تعلم طلب العلم بشيءٍ لم يكن معلوماً من قبل ، وأَداته فى أَمثلة الطائفتين ا ، ب « الهمزة » وفى أَمثلة الطائفة حـ « هل » . ونريد هنا أَن نعرف الفرق بين الأَداتين فى المعنى والاستعمال .

تدبر أَمثال الطائفة « ا » حيث أَداة الاستفهام هى الهمزة ، تجد أَن المتكلم فى كل منها يعرف النسبة التى تضمنها الكلام ، ولكنه يتردد بين شيئين ويطلب تعيين أَحدهما ؛ لأَنه فى المثال الأَول مثلاً يعْرف أَن السفر واقع فعلا وأَنه منسوب إلى واحد من اثنين ،المخاطب أَو أَخيه ؛ فهو لذلك

لا يطلب معرفة النسبة ، وإنما يطلب معرفة مفرد ، وينتظر من المسئول أن يعين له ذلك المفرد ويدلّه عليه ، ولذلك يكون جوابه بالتعيين فيقال له : «أخي» مثلاً . وفى المثال الثانى يعلم السائل أن واحداً من شيئين : الشراء أو البيع قد نسب إلى المخاطب فعلاً ، ولكنه متردد بينهما فلا يدرى أهو الشراء أم البيع ، فهو إذًا لا يطلب معرفة النسبة لأنها معروفة له ، ولكنه يسأل عن مفرد ويطلب تعيينه ، ولذا يجاب بالتعيين فيقال له فى الجواب : «بائع» مثلاً ، وهكذا يقال فى بقية أمثلة الطائفة «ا».

وإذا تدبرت المفرد المسئول عنه فى أمثلة هذه الطائفة ، وكذلك فى كل مثال آخر يعرض لك ، وجدته دائماً يأتى بعد الهمزة مباشرة سواء أكان مسندًا إليه كما فى المثال الأول ، أم مسندًا كما فى الثانى ، أم مفعولاً به كما فى الثالث ، أم حالًا كما فى الرابع ، أم ظرفاً كما فى الخامس ، أم غير ذلك ، ووجدت له معادلًا يذكر بعد «أم» كما ترى فى الأمثلة . وقد يحذف هذا المعادل فتقول : أأنت المسافر ؟ أمشتر أنت ؟ وهلم جرًّا.

* * *

انظر إلى أمثلة الطائفة «ب» حيث أداة الاستفهام هى الهمزة أيضاً تجد الحال على خلاف ما كانت فى أمثلة الطائفة «ا» ، فإن المتكلم هنا متردد بين ثبوت النسبة ونفيها ، فهو يجهلها ولذلك يسأل عنها ويطلب معرفتها ، ففى المثال السادس مثلاً يتردد المتكلم بين ثبوت الصَّدإ للذهب ونفيه عنه ولذلك يطلب معرفة هذه النسبة . ويكون جوابه بنعم إن أُريد الإثبات ، وبلا إن أُريد النفى ، وإذا تأملت الأمثلة هنا لم تجد للمسئول عنه وهو النسبة معادلًا .

ومما تقدم ترى أن للهمزة استعمالين فتارة يطلب بها معرفة مفرد ، وتارة يطلب بهامعرفة نسبة ،وتسمى معرفةالمفرد تصوراً ومعرفة النسبة تصديقاً.

* * *

انظر إلى أمثلة الطائفة «جـ» حيث أداة الاسنفهام «هل» تجد أن

المتكلم فى كل منها لا يتردد فى معرفة مفرد من المفردات ، ولكنه متردد فى معرفة النسبة فلا يدرى أمثبتة هى أم منفية فهو يسأل عنها ، ولذلك يجاب بنعم إن أريد الإثبات ، وبلا إن أريد النفى ، ولو أنك تتبعت جميع الأمثلة التى يستفهم فيها بهل لوجدت المطلوب هو معرفة النسبة ليس غيرُ ؛ «فهل» إذًا لا تكون إلا لطلب التصديق ويمتنع معها ذكر المعادل .

القواعد :

(٤٣) الاِسْتِفْهَامُ طَلَبُ الْعِلْمِ بشَيْءٍ لَمْ يَكُنْ مَعْلُوماً مِنْ قَبْلُ ، ولهُ أَدَوَاتٌ كثِيرَةٌ مِنْها : الْهَمْزَةُ ، وهَلْ .

(٤٤) يُطْلَبُ بالْهَمْزَةِ أَحَدُ أَمْرَيْن :

(ا) التَّصَوُّرُ وهُوَ إِدْراكُ الْمُفْرَدِ ، وفى هٰذِهِ الحَال تَأْتى الهمْزَةُ مَتْلُوَّةً بالْمَسْئُول عَنْهُ ويُذْكَرُ لهُ فى الغَالِب مُعَادِلٌ بَعْدَ أَمْ .

(ب) التَّصْديقُ وهُوَ إِدْراكُ النِّسْبَةِ ، وفى هٰذِه الحال يَمْتَنعُ ذكْرُ الْمُعَادِل[1] .

(٤٥) يُطْلَبُ بهَل التَّصْدِيقُ لَيْسَ غَيْرُ ، وَيَمتَنِعُ مَعَهَا ذكْرُ الْمُعَادل[2] .

---

(١) إن جاءت « أم » بعد همزة التصور تكون « متصلة » وإن جاءت بعد همزة التصديق أو هل قدرت « منقطعة » وتكون بمعنى « بل » .

(٢) هل ، قسمان : بسيطة إن استفهم بها عن وجود الشىء أو عدمه ، نحو : هل الإنسان الكامل موجود ؟ ومركبة إن استفهم بها عن وجود شىء لشىء ، نحو : هل النبات حساس ؟

(ب) بَقيَّة أَدَواتِ الاِسْتِفْهَام

الأَمثلة :

(١) مَن اخْتَطَّ القَاهِرَةَ ؟ (٣) مَا الْكَرَى ؟

(٢) مَنْ حَفَرَ تُرْعَةَ السُّوَيْسِ ؟ (٤) مَا الْإِسْرَافُ ؟

* * *

(٥) مَتَى تَوَلَّى الْخِلَافَةَ عُمَرُ ؟ (٧) يَسْأَلُ أَيَّانَ يَوْمُ الْقِيَامَةِ ؟

(٦) مَتَى يَعُودُ الْمُسَافِرُونَ ؟ (٨) يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسَاهَا ؟

* * *

البحث :

الجمل المتقدمة جميعها استفهامية ، وإذا تأملت معانى أدوات الاستفهام هنا رأيت أن «من» يطلب بها تعيينُ العقلاء ، وأن «ما» تكون لغير العقلاء ، ويطلب بها تارة شرح الاسم كما إذا قلت : ما الكَرى؟ فتجاب بأنه النوم ، وتارة يطلب بها حقيقة المسمى ، كما إذا قلت : ما الإسراف ؟ فتجاب بأنه تجاوز الحد فى النفقة وغيرها ، ووجدت أن «متى» يطلب بها تعيين الزمان ماضياً أو مستقبلاً ، «وأيان» للزمان المستقبل خاصة وتكون فى موضع التفخيم والتهويل .

وهناك أدوات أُخرى للاستفهام هى : كيف ، وأين ، وأنَّى ، وكم ، وأى ، «فكيف» يطلب بها تعيين الحال نحو : كيف جئتم ؟ و «أين» يطلب بها تعيين المكان نحو : أين دِجلة والفرات ؟ و «أنَّى» تكون بمعنى كيف ، نحو: أنى تسود العشيرة وأبناؤها متخاذلون ؟ وبمعنى من أين نحو : أنى لهم هذا المال وقد كانوا فقراءَ ؟ وبمعنى متى نحو : أنى يحضر الغائبون ؟ و «كم» يطلب بها تعيين العدد نحو : كم جنديًّا فى الكتيبة ؟ وأما «أىٌّ» فيطلب بها تعيين أحد المتشاركَيْن فى أمر يعمهما؟ نحو : أى

الأَخوين أكبر سنًّا ؟ وتقع على الزمان ، والمكان ، والحال ، والعاقل ، وغير العاقل على حسب ما تضاف إليه . وجميع هذه الأَدوات تأْتى للتصور ليس غير ، ولذلك يكون الجواب معها بتعيين المسئول عنه .

القواعد :

(٤٦) لِلاِسْتِفْهَامِ أَدَوَاتٌ أُخْرَى غَيْرُ الهمزة وهَلْ ، وهى :

مَنْ ويُطْلَبُ بِهَا تَعْيين الْعُقَلاَء .

ما « « شَرْحُ الاسمِ أَوْ حَقِيقَةُ المسمَّى .

مَتَى « « تَعْيينُ الزَّمَان مَاضِياً كانَ أَوْ مُسْتَقْبَلا .

أَيَّان « « « الْمُسْتَقْبَل خاصَّةً وتكونُ فى مَوْضِع التَّهْويل .

كَيْفَ وَيُطلَبُ بها تَعْيينُ الحال .

أَيْنَ « « المكان .

أَنَّى وتَأْتى لِمَعَان عِدَّة ، فتكونُ بمعْنَى كَيْفَ ، وبمعنى مِنْ أَيْنَ ، وبمعنى مَتى .

كَمْ ويُطَلبُ بها تَعْيينُ العَدَدِ .

أَىْ ويُطلَبُ بهَا تَعْيينُ أَحَدِ الْمُتَشَاركين فى أَمْرٍ يَعُمُّهُمَا ، ويُسْأَلُ بها عَن الزَّمَان والْحَال والعَدَدِ والعَاقِل وغَيْر العَاقِل عَلَى حَسَبِ مَا تُضَافُ إِلَيْهِ .

(٤٧) جَمِيعُ الأَدَوَاتِ الْمُتَقَدِّمةِ يُطلَبُ بها التصورُ ، ولذٰلِك يكونُ الجوابُ مَعَهَا بَتعْيين الْمَسْئُول عَنْهُ .

(ح) الْمَعَانى الَّتى تُسْتَفَادُ مِنَ الإستفهام بالْقَرَائن .

الأَمثلة :

(١) قال البُحْترىّ :

هَل الدَّهْرُ إلاَّ غَمْرَةٌ وانْجلاَؤُهَا وشِيكاً وإلاَّ ضِيقَةٌ وانفِراجُها ؟(١)

(٢) وقال أَبو الطيب فى المديح :

أَتلْتَمِسُ الْأَعْداءُ بَعْدَالَّذِى رأَتْ قِيامَ دَليلٍ أَوْ وُضُوحَ بيان ؟(٢)

(٣) وقال البحترى :

أَلَسْتَ أَعَمَّهُمْ جُودًا وأَزْكا هُمُ عُودًا وأَمْضَاهُمْ حُسَامَا ؟(٣)

(٤) وقال آخر :

إلامَ الْخُلْفُ بَيْنَكُمُ إلاما ؟ وهَذِى الضَّجَّةُ الكُبْرَى علامَا ؟

(٥) وقال أَبو الطيب فى الرثاء :

مَنْ لِلْمَحَافِلِ وَالْجَحَافِلِ وَالسُّرَى فَقَدَتْ بِفَقْدِكَ نَيِّرًا لا يَطْلُعُ(٤)

وَمَن اتَّخَذْتَ عَلَى الضُّيُوفِ خَلِيفةً ضَاعُوا ومِثْلُكَ لا يَكادُ يُضَيِّعُ

(٦) وقال يهجو كافورًا :

مِنْ أَيَّةِ الطُّرُقِ يأْتى مِثْلك الكَرَم؟ أَيْنَ المَحَاجِمُ يا كافُورُ وَالجَلَمُ ؟(٥)

---

(١) الغمرة : الشدة ، وانجلاؤها : زوالها ، ووشيكاً : سريعاً .

(٢) يقول : هل يطلب أعداؤك دليلا على أن الله يريد أن يجعل أمرك هو الغالب بعد ما رأوا الأدلة على ذلك .

(٣) أزكاهم عوداً : أقواهم جسماً .

(٤) المحافل : المجامع ، والجحافل : الجيوش ، والسرى : مشى الليل ، ويريد به الزحف على الأعداء .

(٥) المحاجم : جمع محجمة وهى القارورة يحجم بها الجلد ، ويقال لها كأس الحجامة ، الجلم : أحد شقى المقراض والمراد به المشراط . قيل إن كافوراً كان عبداً لحجام بمصر ثم اشتراه الإخشيد .

(٧) وقال أيضاً :

حَتّام نَحْنُ نسارى النَّجْمِ فى الظلَم ومَاسُراهُ على خُفٍّ ولا قَدَم؟[١]

(٨) وقال أيضاً وقد أصابته الحمَّى :

أَبنْتَ الدَّهْرِ عِنْدِى كلُّ بنْتٍ فَكَيْفَ وَصَلْتِ أَنْتِ من الزَّحَام؟[٢]

(٩) وقال تعالى : « سَواءٌ عَلَيْنَا أَوَعَظْتَ أَمْ لَمْ تَكُنْ مِنَ الْوَاعِظِين » .

(١٠) وقال تعالى : « فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنَا ؟ »

(١١) وقال تعالى : « هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنْجِيكُمْ مِنْ عَذَابٍ أَلِيم؟ »

البحث :

عرفت فيما مضى ألفاظ الاستفهام ومعانيها الحقيقية . وهنا نريد أن نبين لك أن هذه الألفاظ قد تخرج إلى معان أخرى تستفاد من السياق.

تدبر الأمثلة المتقدمة تجد البحترى فى المثال الأول لا يسأل عن شىء ، وإنما يريد أن يقول ما الدهر إلّا شدة سرعان ما تنجلى ، وما هو إلا ضيق يعقبه فرج ، فلفظة هل فى كلامه إنما جاءت للنفى لا لطلب العلم بشىءٍ كان مجهولًا .

وأبو الطيب فى المثال الثانى إنما ينكر على الأعداء ارتيابهم فى عُلا كافور والتماسهم البراهين على ما كتبه الله له من النصر واختصه به من الجدِّ السعيد ، بعد أن رأوا كيف يتردى فى المهالك كل من أراد به شرًّا ، وكيف يُصيب الزمان كل من نوى له سوءًا ، فالاستفهام فى البيت لايفيد معنى سوى الإنكار .

---

(١) نسارى : من السرى وهو مشى الليل ، يقول : حتى متى نسرى مع النجم فى الليل ، وهو لا يسرى على خف كالإبل ولا على قدم كالناس ، فلا يتعب مثلنا ومثل مطايانا .

(٢) يريد ببنت الدهر : الحمى التى أصيب بها ، وبنات الدهر : شدائده ومصائبه . يقول للحمى : عندى كل نوع من أنواع الشدائد ، فكيف لم يمنعك ازدحامها من الوصول إلى .

والبحترى فى المثال الثالث إنما يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه له من الفوْق على بقية الخلفاء فى الجود وبسطة الجسم والشجاعة. وليس من قصده أن يسأل ، فالاستفهام فى كلامه للتقرير .

والشاعر فى المثال الرابع يلوم مخاطبيه على تماديهم فى الشقاق واستمرارهم فى التخاذل والتنافر . ويقرعهم على غلوهم فى الصخَب والضجيج ، فهو قد خرج بأداة الاستفهام عن معناها الأصلى إلى التوبيخ والتقريع .

وأبو الطيب فى المثال الخامس يقصد إلى التعظيم والإجلال بإظهار ما كان للمرْثى أيام حياته من صفات السيادة والشجاعة والكرم ، مع ما فى ذلك من إظهار التحسر والتفجع . أما فى المثال السادس حيث يهجو كافورًا فإنه يننقصه ويعمِد إلى تحقيره والحط من كرامته .

وإذا تدبرت بقية الأمثلة وجدت أدوات الاستفهام قد خرجت عن معانيها الأصلية إلى الاستبطاء ، والتعجب ، والتسوية ، والتمنى ، والتشويق ، على الترتيب .

القاعدة :

(٣٨) قَدْ تَخْرُجُ أَلْفاظُ الإِسْتِفْهام عَنْ مَعَانِيها الْأَصْلِيَّةِ لِمَعَانٍ أُخْرى تُسْتفَادُ مِنْ سِياق الكَلام كالنَّفْى ، والإِنْكار ، والتَّقْرير ، والتَّوْبيخ ، والتَّعْظِيم ، والتَّحْقِير ، والإِسْتِبْطاء ، والتَّعَجُّبِ ، والتّسْويةِ ، والتَّمَنِّى ، والتَّشْويق .

نَمُوذَجٌ (١)

(١) شَبّ فى المدينةِ حريق لم تره ، فسل صديقك عن رؤيته إيَّاه .
(٢) سمعْتَ أن أحد أخويك علىٍّ ونجيب أنقذ غريقاً . فسل عليًّا يعين لك المنقذ .

(٣) إذا كنت تعرف أن البنفسج يكثر فى أحد الفصلين الخريف أو الشتاء لا على التعيين ، فضَع سوالاً تطلب فيه تعيين أحد الفصلين.

الإجابة (١)

الرقم	السؤال المطلوب	شرح الإجابة
(١)	هل رأيت الحريق الذى شب فى المدينة ؟	السوال هنا عن النسبة وهل والهمزة صالحتان للاستفهام عنها فتذكر إحداهما ويوتى بعدها بالجملة .
(٢)	أأنت الذى أنقذت الغريق أم نجيب ؟	السؤال هنا عن المسند إليه فيستفهم بالهمزة ويؤتى بعدها بالمسئول عنه ثم يؤتى بمعادل بعد أم .
(٣)	أفى الخريف يكثر البنفسج أم فى الشتاء؟	السؤال عن الظرف ويتبع فى تكوينه ما اتبع فى المثال السابق .

نموذج (٢)

لبيان الأغراض التى يدل عليها الاستفهام فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو تمام فى المديح :

هلْ اجْتَمعتْ أَحْياءُ عدْنان كلُّها ... بمُلتَحمٍ إلاّ وأَنْتَ أَمِيرُها[1]

(٢) وقال البُحْتُرى :

أَأَكْفُرُكَ النَّعْماءَ عِنْدِى وقَدْ نَمتْ ... عَلَىَّ نُمُوَّ الْفَجْرِ والْفَجْرُ ساطعُ ؟

وأَنْتَ الَّذِى أَعْزَزْتَنى بعْد ذِلَّتى ... فلاَالقَوْلُ مخْفوض ولاَالطرف خاشع ؟[2]

(٣) وقال ابن الرومى فى المدح :

أَلَسْتَ المرْءَ يَجْبِى كلَّ حمْـدٍ ... إذَا ما لَمْ يَكُنْ لِلْحَمْدِ جابِ ؟[3]

(٤) وقال أبو تمام :

ما لِلْخُطُوب طَغتْ عَلَىَّ كَأَنها ... جَهلَتْ بأَنَّ نداك بالمِرْصَادِ ؟

---

(١) أحياء عدنان : بطونها ؛ الملتحم : مكان اشتداد القتال . (٢) القول المخفوض : ما كان لينا ليست فيه شدة ، والطرف الخاشع : العين فيها إنكسار وذلة . (٣) يجبى : يجمع .

(٥) وقال آخر :

فدَع الوَعِيد فَما وعيدكَ ضَائرى ... أَطنينُ أَجْنِحَةِ الذُّباب يضِير ؟[1]

(٦) أَضَاعُونى وأَىَّ فَتًى أَضاعُوا ؟ ... لِيوْم كريهَة وسداد ثَغْر[2]

الإجابة

الرقم	صيغة الاستفهام	الغرض	الشرح
(١)	هل اجتمعت أحياء عدنان	النفى	لأن المعنى أن بطون عدنان لم تجتمع فى مكان قتال إلا وأنت أمير عليها.
(٢)	أأكفرك النعماء عندى	الإنكار	فإن البحترى يريد أن يقول لممدوحه إنه لايليق بى أن أكفر نعماءك وقد غمرتنى بها غمرًا ،وبدلتنى بالذل عزًّا ، وبالخضوع والخشوع عظمة وعلوًّا
(٣)	ألست المرءَ يجبى كل حمد	التقرير	لأن القائل يريد أن يحمل الممدوح على الإقرار بما ادعاه من اجتماع المحامد له .
(٤)	ما للخطوب طغَت علىّ	التعجب	فإن أبا تمام يعجب من تراكم الشدائد عليه فى حين أن ممدوحه لها بالمرصاد يدفعها عنه بنداه وعطاياه ، ولذلك قال كأنها جهلت بأن نداك بالمرصاد .
(٥)	أطنين أجنحة الذباب يضير	التحقير	لأن الشاعر يشبه وعيد عدوه بصوت أجنحة الذباب .
(٦)	أضاعونى وأى فتى أضاعوا	التعظيم	لأن المتكلم يريد أن يرفع من شأن نفسه ويبين أنه عماد العشيرة فى أوقات الحروب والشدائد .

(١) الطنين : صوت أجنحة الذباب ، ويضير : يضر . (٢) الكريهة : الشدة فى الحرب ، والثغر : موضع المخافة من العدو عند حدود البلدان ، ويريد بسداده سده بالخيل والرجال .

تمرينات

(١)

(١) وعدك صديق أن يزورك فى الغد ، فشككتَ فى أنه يزورك قبل الظهر أو بعده ، فضع سؤالاً تطلب به تعيين الوقت .

(٢) علمتَ أن واحدًا من عَمَّيْكَ حامِدٍ ومحمود قد اشترى بيتاً ، فضع سؤالاً تطلب به تعيين المشترى .

(٣) إذا كنتَ شاكًّا فى أن القصب يزرع فى الربيع أو فى الصيف ، فكيف تصوغ السؤال الذى تطلب به من المخاطب تعيين الزمان ؟

(٤) سل صديقك عن ميله إلى الأسفار .

(٢)

سل عن : الحال ، والمفعول به ، والظرف ، والمبتدأ ، والخبر ، والجار والمجرور ، فى الجمل الآتية :

نظم القصيدة متأثرًا ـ اشترى قلماً ـ كتب الرسالة ليلاً ـ علىّ الفائز ـ مصر خِصْبةٌ ـ الكتاب فى البيت .

(٣)

سل عما يأتى :

(ا) أول الخلفاء الراشدين .

(ب) أطول شارع فى المدينة .

(ح) حال مصر أيام المماليك .

(د) الزمن الذى ينضج فيه العنب .

(هـ) عدد المدارس العالية فى مصر .

(و) موطن الفِيلة .

(ز) حقيقة الصدق .

(ح) معنى الضَّيغَم .

(٤)

(١) لم كان الاستفهام فى الأمثلة الآتية مفيداً النفى ، والإنكار ، والتعظيم ، على الترتيب ؟ :

(ا) هل الدَّهْرُ إلَّا ساعةٌ ثم تَنقضى بما كان فيها من بلاءٍ ومن خَفْض ؟[1]

(ب) قال تعالى : « أَغَيْرَ اللهِ تَدعُونَ » .

(حـ) منْ منكم الملكُ المُطَاعُ كأنَّه تحت السوابغ تُبَّعٌ فى حِمْيَر ؟[2]

(٢) لم كان الاستفهام فى الأمثلة الآتية مفيداً التقرير ، والتعجب ، والتمنى ، على الترتيب ؟ :

(ا) قال تعالى : « أَلَمْ نُربِّكَ فِينا ولِيدًا ؟ »

(ب) قالت إحدى نساء العرب تشكو ابنها :

أَنْشَا يُمزِّق أثوابى يُؤَدِّبنى أَبَعْدَشَيْبِى يَبْغى عِنْدِى الأَدَبا ؟

(حـ) وقال أبو العتاهية فى مدح الأمين :

تَذكَّرْ أمين الله حقى وحُرْمتى وما كُنْتَ تُولينى لَعلكَ تذكرُ

فَمَنْ لِى بالعيْن التى كنتَ مرَّةً إلىَّ بها فى سالف الدهر تَنْظُرُ ؟

(٥)

ماذا يُرادُ بالاستفهام فى الأمثلة الآتية ؟ :

(١) قال المتنبى :

وَمنْ لَمْ يعْشِق الدُّنْيَا قَدِيماً ؟ ولٰكن لا سبيل إلى الوصال[3]

---

(١) البلاء : الهم والغم ، والخفض : النعيم والدعة .

(٢) البيت لابن هانئ الأندلسى ، والسوابغ : الدروع ، تبع : ملك اليمن ، وحمير موضع أو قبيلة غربى صنعاء ؛ يخاطب الجيش ويقول : أيها الجنود من منكم الملك الذى له من القوة والسلطان ما لتبع .

(٣) الناس من قديم الزمان مولعون بحب الدنيا والبقاء فيها ، ولكن لم يتمتع أحد بهذا البقاء لأنها لا تدوم لأحد .

(٢) وقال :

ولَسْتُ أُبالِي بعْدَ إدْرَاكِي العُلا أَكَان تُراثاً ماتَنَاوَلْتُ أَمْ كَسْبا؟(١)

(٣) وقال :

وهل تغْنِي الرَّسائلُ فى عدُوٍّ إذَا مَا لَمْ يَكُنَّ ظُبًا رقاقا؟(٢)

(٤) وقال حينما صرع بدرُ بن عمّار أسدًا :

أَمُعفِّر الليثِ الهزبْرِ بسَوطهِ لمن ادَّخرت الصارم المصقولا؟(٣)

(٥) وقال أبو تمام :

أَوُلْبِس هُجْرِ القوْل مَنْ لو هجوْتُهُ إذًا لَهجانِى عنْه معْرُوفُهُ عِنْدِى ؟

(٦) وكيْف أَخَافُ الفَقْرأو أُحْرِمُ المنى ورَأىُ أَمير المُؤْمِنين جميلُ ؟

(٧) ما أَنْتِ يا دُنْيا أَرؤْيَا نَائم أَمْ لَيْلُ عُرْسٍ أَمْ بساطُ سُلَاف؟(٤)

(٨) وقال أبو الطيب :

ومَا لَك تُعْنَى بالأَسِنَّةِ والقَنَا ؟ وجَدُّكَ طعَّانٌ بغَيْر سِنَان(٥)

(٩) هلْ بالطُّلول لِسائِلٍ ردٌّ ؟ أَمْ هَلْ لَها بِتَكَلُّم عَهْدُ ؟

(١٠) حتى متَى أَنْتَ فِى لَهْوٍ وفِى لَعِب؟ والموْتُ نَحْوكَ يهْوى فاتِحاً فاهُ

(١١) وقال أبو الطيب :

يفنَى الْكَلامُ ولا يُحِيطُ بفَضْلِكُم أَيُحِيطُ ما يَفْنَى بما لَا ينْفَدُ ؟

(١٢) وقال تعالى : «منْ ذَا الَّذِى يشْفعُ عِنْدهُ إلَّا بإذْنِهِ ؟»

---

(١) التراث : الإرث ، يقول : إذا استوليت على معالى الأمور فما أبالى أن أكون بلغتها عن إرث أو كسب ، وقد كان الوجه أن يقول . أتراثاً كان لأن الهمزة لا يليها إلا المسئول عنه كما تقدم لك ولكنه لما ذكر المعادل تعين المسئول عنه .

(٢) الظبا : جمع ظبة وهى حد السيف . أى أن العدو لا يشتفى منه إلا بالقتل .

(٣) عفره : مرغه فى التراب ، والليث : الأسد ، والهزبر : الشديد ، والصارم : السيف القاطع ؛ يقول : إذا كنت تصرع الأسد بالسوط وهو أشد الحيوان بأساً ، فلمن أعددت سيفك ؟

(٤) العرس : طعام الوليمة ، والسلاف : الخمر .

(٥) تعنى بصيغة المجهول أى تعتنى ، والجد : الحظ ، يقول : مالك تعتنى بادخار الأسلحة وحظك يطعن أعداءك فيقتلهم بغير سنان .

(١٣) وقال أبو الطيب :

أيدْرى الرَّبْعُ أىّ دمٍ أراقَا ؟ وأىّ قلوب هذاالرَّكب شَاقَا؟ (١)

(١٤) وقال المتنبي فى سيف الدولة يعُودُه من دُمَّل كان فيه :

وكيف تُعِلُّك الدنيا بشيءٍ ؟ وأنت لِعِلة الدنيا طبيبُ

وكيف تَنُوبُكَ الشكوى بداءٍ ؟ وأنْتَ الْمُسْتغاث لما ينُوبُ

(١٥) وقال أبو العلاء المعرى :

أتَظُنُّ أنك للمعالى كاسِبٌ ؟ وخَبىٌّ أمْرِكَ شِرَّةٌ وشَنَارُ (٢)

(٦)

(١) استعمل كل أداة من أدوات الاستفهام فى جملتين مفيدتين وأجب عن كل سؤال تأْتى به ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى.

(٢) استعمل همزة الاستفهام فى ست جمل بحيث تكون فى الثلاث الأولى منها لطلب التصور ، وفى الثلاث الأخيرة لطلب التصديق ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى .

(٣) كون ثلاث جمل استفهامية تامة ، أداة الاستفهام فى كل منها « هل » ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى .

(٤) هات ثلاث جمل أداة الاستفهام فى كل منها « أنى » واستوف المعانى التى عرفتها لهذه الأداة ، واجعل غرضك من الاستفهام معناه الحقيقى.

(٧)

(١) كون ثلاث جمل استفهامية يحيث يدل الاستفهام فى الأولى على التسوية ، وفى الثانية على النفى ، وفى الثالثة على الإنكار .

---

(١) الربع : الدار ، وأراق : سفك ، والركب : جماعة الركبان . يذكر مروره بربع الأحبة ويقول : أيدرى هذا الربع ما فعل من إراقة دمى ، وما هيج فى قلبى من الشوق بذكر الأحبة .

(٢) الشرة بالكسر : الشر والحدة والحرص ، والشنار بالفتح : أقبح العيب .

(٢) هات ثلاث جمل استفهامية : يدل الاستفهام فى الأولى منها على التعظيم . وفى الثانية على التحقير ، وفى الثالثة على التوبيخ .

(٣) مثِّل للاستفهام الخارج عن معناه الأصلى للتعجب ، ثم للتمنى ، ثم للاستبطاء .

(٨)

اشرح البيتين الآتيين وبين أغراض الاستفهام فيهما ، وهما يُنسبان لأعرابى يمدح الفضلَ بن يحيى البَرْمكى :

ولائمة لامتْك يا فضلُ فى النَّدى ... فقلت لها هل أثَّر اللوم فى البحر؟

أتنْهَيْن فضلاً عن عطاياهُ للورى ؟ ... ومن ذا الذى ينْهى الغمام عن القَطر؟

(٤) التّمَنى

(١) قال ابن الرومىّ فى شهر رمضان :

فليت الليلَ فيه كان شهرًا ... ومرّ نهارُه مَرَّ السحاب

(٢) وقال تعالى : « فَهَلْ لَنَا مِنْ شُفَعَاءَ فَيَشْفَعُوا لَنا » .

(٣) وقال جرير :

وَلَّى الشبابُ حميدةً أيامُه ... لو كان ذلك يُشْتَرَى أو يَرْجعُ

(٤) وقال آخر :

أَسِربَ القَطا هل من يُعيرجَناحه ... لَعَلى إلى من قد هَويتُ أطيرُ؟ (١)

(٥) وقال تعالى : « يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِىَ قَارُونُ » .

---

(١) السرب : الجماعة ، والقطا : نوع من الطير يشبه الحمام ، وهويت : أحببت .

البحث :

الأمثلة المتقدمة جميعها من باب الإنشاء الطلبى . وإذا تأملت المطلوب فى كل مثال وجدته أمرًا محبوباً لا يرجى حصوله ، إما لكونه مستحيلاً كما فى الأمثلة الأربعة الأولى ، وإما لكونه ممكناً غير مطموع فى نيله كما فى المثال الأخير ، ويسمى هذا الضرب من الإنشاء بالتمنى .

والأدوات التى أفادت التمنى فى الأمثلة المتقدمة هى : ليت ، وهل ، ولو ، ولعلّ : غير أن الأداة الأولى أفادته بأصل الوضع ، أما الثلاث الأخرى فإنها استُعْمِلت فيه للطائف بلاغيَّة .

هذا وإذا كان المطلوب المحبوب ممكناً مطموعاً فى حصوله كان طلبه ترجياً ، ويعبر فيه بلعل وعسى ، وقد تستعمل فيه ليت لسبب يقصده البليغ كما فى قول أبى الطيب :

فَيالَيْتَ ما بيْنى وبين أَحبَّتى ... مِن البُعْدِ ما بيْنى وبين الْمصائبِ

القواعد :

(٤٩) التَّمَنِّى طَلَبُ أَمْرٍ مَحْبُوبٍ لَا يُرْجَى حُصُولُه ، إِمَّا لِكَوْنِهِ مُسْتَحِيلاً ، وإِمَّا لكونه مُمْكِناً غَيْرَ مَطْمُوعٍ فى نَيْلِهِ .

(٥٠) واللَّفْظُ الْمَوْضُوع للتَّمَنِّى لَيْتَ ، وقد يُتَمَنَّى بهَلْ ، وَلَوْ ، وَلَعلَّ ، لِغَرَضٍ بَلَاغِىٍّ[1] .

(٥١) إِذَا كَانَ الْأَمْرُ الْمَحْبُوبُ مِمَّا يُرْجَى حُصُولُهُ كانَ طَلَبُهُ تَرَجِّياً ، ويُعَبَّرُ فيهِ بلَعَلَّ أَوْ عَسَى ، وقد تُسْتَعْمَلُ فيه لَيْتَ لَغَرَض بلاغىٍّ[2] .

---

(١) الغرض فى هل ولعل ، هو إبراز المتمنى فى صورة الممكن القريب الحصول ؛ لكمال العناية به والتشوق إليه ، والغرض فى لو الإشعار بعزة المتمنى وندرته ؛ لأن المتكلم يبرزه فى صورة الممنوع ، إذ أن لو تدل بأصل وضعها على امتناع الجواب لامتناع الشرط .

(٢) الغرض هو إبراز المرجو فى صورة المستحيل مبالغة فى بعد نيله .

نَمُوذَجٌ

لبيان ما فى الأَمثلة الآتية من تمنٍّ أو ترج ، وتعيين الأَداة فى كل مثال :

(١) قال صريعُ الغوانى :

واهاً لأَيام الصِّبـــا وزمانِه لَوْ كان أَسْعف بالْمُقَام قليلا[1]

(٢) وقال أَبو الطيب :

فَلَيْتَ هَوَى الأَحِبَّةِ كانَ عدْلًا فحمَّـــل كلَّ قَلْبٍ ما أَطَاقَا

(٣) وقال تعالى : « فَهل إِلَى خُرُوجٍ مِنْ سبيل ؟ »

الإِجابة

الرقم	المعنى المراد	الأَداة	البيان
١	التمنى	لو	لأَن المطلوب هنا ممكن غير مطموع فى حصوله.
٢	الترجى	ليت	« « « « مطموع فى حصوله .
٣	التمنى	هل	« « « « غيرمطموع فى حصوله

تمرينات

(١)

بيّن ما فى الأَمثلة الآتية من تمن أَو ترج ، وبين السر فى استعمال ما جاءَ من الأَدوات على غير وضْعِهِ الأَصلىّ :

(١) قال مرْوانُ بنُ أَبى حفصة فى رثاءِ معْن بن زائدة :

فليْتَ الشـــامِتِين بهِ فَدوْهُ ولَيْتَ العُمْرَ مُدَّ لَهُ فطَالَا[2]

(٢) وقال أَبو الطيب فى رثاء أُخت سيف الدولة :

فَلَيْت طالِعةَ الشَّمْسين غائبـــةٌ وليت غائبةَ الشمسين لم تَغِبِ[3]

---

(١) واها : كلمة تعجب تقولها إذا تعجبت من طيب الشىء ، فمعنى واهاً لأيام الصبا ما أطيبها !

(٢) الشامتين به : الفرحين بموته ، وفدوه : جعلوا فداء له . (٣) جعل المرثية وشمس النهار شمسين ، يقول : ليت الطالعة من هاتين الشمسين وهى شمس النهار غائبة ، وليت الغائبة منهما وهى المرثية لم تغب . يريد أنها كانت أعم نفعاً من الشمس فليتها بقيت وفقدنا الشمس .

(٣) وقال آخر :

علَّ الليالى الَّتى أَضْنتْ بفرقتِنا جسْمى ستَجْمعُنى يوْماً وتَجْمعُهُ[١]

(٤) قال الله تعالى : «ياهامان ابن لِى صرْحاً لَعلِّى أَبلُغُ الأَسْبابَ أَسْباب السَّمٰوات » .

(٥) وقال تعالى : «فَلَوْ أَنْ لَنَا كَرَّةً فَنكونَ مِن المُؤْمِنين »[٢]

(٦) وقال الشاعر :

أَيا منْزلَىْ سَلْمى سلامٌ علَيْكُما هلِ الأَزمنُ اللَّائى مضَين رواجعُ

(٧) وقال :

لَيْتَ الملوك على الأَقْدار مُعْطِيةٌ فلمْ يكنْ لِدنىءٍ عندها طَمع[٣]

(٨) وقال فى المديح :

ليْتَ المدائح تَسْتَوْفِى مناقبَهُ فما كُليبٌ وأَهلُ الأَعصُر الأُول؟

(٢)

(١) هات مثالين لكل أداة تفيد التمنى .

(٢) هات مثالين للترجى ، واستعمل فى الأول لعل وفى الثانى عسى .

(٣) هات مثالين للترجى ، واستعمل فى كل منهما « ليت » وبين السبب البلاغى فى اختيار هذه الأداة .

(٣)

انثُر البيتين الآتيين نثرًا وهما للمتنبى فى مدح كافور :

لَحى اللهُ ذِى الدنْيا مُناخاً لراكب فكل بعِيدِ الهمِّ فيها مُعذَّبُ[٤]

أَلا ليْتَ شعْرى هلْ أَقولُ قَصِيدةً فلا أَشْتَكى فيها ولا أَتعَتَّب[٥]

---

(١) أضنت جسمى : أمرضته . (٢) كرة : أى رجوعاً إلى الدنيا .

(٣) أى ليتهم يعطون الشعراء على قدر فضلهم ونبل أنفسهم فلا يطمع فى عطائهم خسيس .

(٤) لحى الله ذى الدنيا : أى قبحها ولعنها ، والمناخ : المنزل وهو تمييز ، يذم الدنيا ويقول : إنها دار شقاء وإن كل عظيم الهمة فيها معذب .

(٥) ليت شعرى : أى ليتنى أعلم .

(٥) النِّداء

الأَمثلة :

(١) كتبَ أبو الطيب إلى الوالى وهو فى الإعتقال :

أَمَالِكَ رقِّى ومنْ شَأْنُهُ هِبَاتُ اللُّجَيْنِ وَعِتْقُ الْعَبِيد[١]

دَعَوْتُكَ عِنْدَ انْقِطَاعِ الرَّجَا ءِ وَالْمَوْتُ مِنِّى كَحَبْلِ الْوَرِيدْ[٢]

(٢) وقال أَبو نُواس :

يارَبِّ إِنْ عَظُمَتْ ذُنُوبى كثْرَةً فَلَقَدْ عَلِمْتُ بِأَنَّ عَفْوَكَ أَعْظَمُ

(٣) وقال الفرزدق يفتخر بآبائه ويهجو جريرًا :

أُولٰئِكَ آبائِى فَجِئْنى بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يا جَرِيرُ الْمَجَامِعُ

(٤) وقال آخر :

أَيا جامِعَ الدُّنْيَا لِغَيْرِ بَلَاغَةٍ لِمنْ تَجْمَعُ الدُّنْيَا وَأَنْتَ تَمُوتُ؟

البحث .

إذا أَردنا إقبال أَحد علينا دعوناه بذكر اسمه أَو صفة من صفاته بعد حرف نائب مناب أَدعو ، ويسمى هذا بالنداء .

وأَدوات النداء هى : الهمزة ، وأَىْ ، ويا ، وآ ، وآى ، وأَيا ، وهيا ، ووا .

والأَصل فى نداء القريب أَن ينادى بالهمزة أَو أَى ، وفى نداء البعيد أَن ينادى بغيرهما من بقية الأَدوات ، غير أَن هناك أَسباباً بلاغيَّة تدعو إلى مخالفة هذا الأَصل ، وسنشرح لك هذه الأَسباب فيما يأْتى :

تأَمل المثال الأَول تجد المنادى فيه بعيدًا ، ولكنَّ أَبا الطيب ناداه

---

(١) الرق : العبودية ، والهبات : العطايا ، واللجين : الفضة ، والعتق : التحرير .

(٢) حبل الوريد : عرق فى العنق يضرب مثلا فى شدة القرب .

بالهمزة الموضوعة للقريب ، فما السبب البلاغى هنا ؟ السبب أن أبا الطيب أراد أن يبيّن أن المنادى على الرغم من بعده فى المكان ، قريب من قلبه مستحضر فى ذهنه لا يغيب عن باله ، فكأنه حاضر معه فى مكان واحد . وهذه لطيفة بلاغيَّة تسوغ استعمال الهمزة وأىْ فى نداء البعيد .

انظر إلى الأمثلة الثلاثة الباقية تجد المنادى فى كل منها قريباً ، ولكن المتكلم استعْمل فيها أحرف النداء الموضوعة للبعيد فما سبب هذا ؟

السبب أن المنادى فى المثال الثانى جليل القدر خطير الشأن فكأن بُعد درجته فى العِظم بعدٌ فى المسافة ، ولذلك اختار المتكلم فى ندائه الحرف الموضوع لنداء البعيد ليشير إلى هذا المشأن الرفيع . وأما فى المثال الثالث فلأن المخاطب فى اعتقاد المتكلم وضيع الشأن صغير القدر فكأن بُعد درجته فى الانحطاط بعدٌ فى المسافة . وأما فى المثال الأخير فلأن المخاطب لغفلته وذهوله كأنه غير حاضر مع المتكلم فى مكان واحد .

وقد تخرج ألْفاظ النداء عن معناها الأصلى وهو طلب الإقبال إلى معان أُخرى تستفاد من القرائن ، ومن هذه المعانى ما يأْتى :

(١) الزجر كقوله :

يا قَلبُ ويْحك ما سمِعْتَ لنَاصِحٍ ... لَمَّا ارْتَميْتَ ولا اتّقَيْتَ ملامًا

(٢) التحسر والتوجع نحو قوله :

أَيا قبْرَ معْنٍ كيْف واريْتَ جُودهُ ... وقَدْ كانَ مِنْهُ البرُّ والبحْرُ مُتْرعا

(٣) الإغراء كقولك لمن أقبل يتظلم : يا مظلوم تكلم .

القواعد :

(٥٢) النّداءُ طَلَبُ الإِقْبَال بحَرْفٍ نَائِبٍ مَنَابَ أَدْعُو .

(٥٣) أَدَوَاتُ النِّدَاءِ ثَمَانٍ : الْهَمْزَةُ ، وأَىْ ، ويَا ، وآ ، وآى وأَيا ، وَهيَا ، ووا .

(٥٤) الهمزةُ وأَىْ لِنِداءِ الْقَريبِ ، وغَيْرُهُما لِنِدَاءِ البَعِيدِ .

(٥٥) قَدْ يُنَزَّل الْبَعِيدُ مَنْزلَةَ الْقَريبِ فَيُنادَى بالْهَمْزَةِ وأَىْ ، إِشَارَةً إِلَى قُرْبِهِ مِنَ القَلْبِ وحُضُورِهِ فِى الذِّهْن . وقَدْ يُنزَّل الْقَريبُ مَنْزلَةَ الْبَعِيدِ فَيُنادَى بغَير الْهَمْزَةِ وأَىْ ، إِشَارةً إِلَى عُلُوِّ مَرْتَبَتِه ، أَو انْحِطاطِ مَنْزلَتِهِ ، أَوْ غَفْلَتِهِ وشُزُورِ ذِهْنِهِ .

(٥٦) يَخْرُجُ النِّدَاءُ عَنْ مَعْنَاهُ الْأَصْلِىّ إِلَى مَعَانٍ أُخْرَى تُسْتَفادُ مِنَ القَرائن ، كالزَّجْر والتَّحَسُّر والإِغْرَاءِ .

نَمُوذَجٌ

لبيان أدوات النداء فى الأمثلة الآتية ، وما جرى منها على أصل وضعه فى نداء القريب أو البعيد ، وما خرج عن ذلك مع بيان السبب :

(١) أَبُنَىّ إِنَّ أَباك كاربُ يَوْمِهِ فإِذَا دُعِيتَ إِلَى المكارمِ فَاعْجل[1]

(٢) يا منْ يُرجَّى لِلشَّدائِدِ كلِّهـا يَا منْ إِلَيْهِ المُشْتَكَى والمفْزَعُ

(٣) قال أبو العتاهية :

أَيَا مَنْ عاش فِى الدُّنْيا طويلًا وأَفْنَى الْعُمْر فى قِيلٍ وقَالِ
وأَتعبَ نَفْسَـهُ فيما سيفْنَى وجمَّع مِنْ حرامٍ أَوْ حلال
هب الدنْيا تُقادُ إِلَيْكَ عفْـوًا أَلَيس مصِيرُ ذلكَ لِلزَّوال ؟

(٤) وقال سَوار بن المُضَرَّب[2] :

يـأَيها القَلْبُ هلْ تَنْهاك موْعِظَةٌ أَوْ يُحْدِثَنْ لَك طُولُ الدَّهْرِ نِسْيَانَا

---

(١) كارب يومه : أى مقارب يومه الذى يموت فيه .

(٢) شاعر إسلامى كان مع قطرى بن الفجاءة ، وهو من بنى سعد تميم .

(٥) وكتب والد لولده ينصحه :

أَحُسينُ إنى واعِظٌ ومُؤَدِّبُ فَافْهَمْ فإن العاقل المُتأَدِّبُ

الإجابة

(١) الأَداة «الهمزة» وقد استعملت فى نداء القريب جرياً على الأَصل .

(٢) الأَداة «يا» وقد استعملت فى نداء القريب على خلاف الأَصل ، إشارة إلى علو مرتبة المنادَى وارتفاع شأنه .

(٣) الأَداة «أيا» وقد استعملت فى نداء القريب على خلاف الأَصل ، إشارة إلى غفلة المخاطب .

(٤) الأَداة «يا» وقد استعملت فى نداء القريب على خلاف الأَصل ، إشارة إلى أَن المنادَى غافل لاه فكأَنه غير قريب .

(٥) الأَداة «الهمزة» وقد نُودى بها البعيد على خلاف الأَصل ، إشارة إلى أَن المنادى حاضر فى الذهن لا يغيب عن البال فكأَنه حاضرُ الجثمان.

تمرينات

(١)

بيِّن أَدوات النداء فى الأَمثلة الآتية ، وما جرى منها على أَصل وضعه فى نداء القريب أَو البعيد ، وما خرج منها عن ذلك مع بيان الأَسباب البلاغيَّة فى الخروج :

(١) قال أَبو الطيب :

ياصائِدَ الجحْفَل المرْهُوبِ جانِبُهُ إنَّ اللُّيُوثَ تَصِيدُ النَّاسَ أَحْدانا[1]

(٢) أَيارَبِّ قَدْ أَحْسنتَ عودًا وبدْأَةً إلَىَّ فلم ينْهَضْ بإحْسانكَ الشكْرُ

(٣) أَسُكانَ نَعْمان الأَراكِ تيقَّنُوا بأَنكُم فِى رَبْع قَلْبى سُكانُ[2]

---

(١) الجحفل : الجيش الكبير ، والليوث : الأسود ، وأحدانا : جمع واحد وأصله وحدانا ، يقول : أنت أشد بطشاً من الأسد ، لأن الأسد يصيد الناس واحداً واحداً وأنت تصيد الجيش برمته .

(٢) نعمان الأراك : موضع فى بلاد العرب ، والربع : المنزل .

(٤) قال تعالى يحْكى قول فِرْعونَ لموسى عليه السلام :

«إنِّى لَأَظُنُّكَ يا مُوسى مَسْحُورًا» .

(٥) قال أبو العتاهية :

أيا منْ يُؤَمِّلُ طُول الْحياةِ وطـولُ الْحياةِ عليْهِ خَطَرْ

إذَا ما كبِرْت وبانَ الشَّبـابُ فَلاَ خيْر فِى العيْش بَعْد الكِبر

(٦) وقال أبو الطيب فى مدح كافور من قصيدة أنشده إياها :

يا رجاءَ العُيُون فِى كلِّ أرْض لَمْ يكُنْ غَيْرَ أنْ أراكَ رجائى

(٧) أى بُنَىَّ ، أعد عَلَىَّ ما سمعتَ منى .

(٨) أمحمدُ ، لا ترفع صوتك حتى لا يسمعَ حديثَنا أحد .

(٩) أيا هذا ، تنبه فالمكاره مُحْدِقة بك .

(١٠) يا هذا لا تتكلمْ حتى يُؤْذَنَ لك .

(٢)

ناد من يأْتى ، مستعملاً أدوات النداء استعمالاً جارياً على خلاف الأصل من حيث قربُ المنادى وبُعْدُه ، وبين العلل البلاغيَّة فى هذا الاستعمال :

(١) غائباً تحنّ إلى لقائه . (٣) منصرفاً عن عمله تدعوه إلى الجِدّ.

(٢) سفيهاً تنهاه عن التعرض للكرام . (٤) عظيماً تخاطبه وترجوه أن يساعدك.

(٣)

ماذا يراد بالنداء فى الأمثلة الآتية :

(١) أعَدَّاءُ ما للعيش بعْدكَ لَذةٌ ولَا لِخَلِيل بهْجةٌ بخَليل[1]

(٢) يا شجاع أقْدِمْ (تقوله لمن يتردد فى منازلة العدو) .

---

(١) الهمزة للنداء ، وعداء منادى ، والبهجة : السرور ، يقول : يا عداء ، ذهبت بعدك لذة العيش ولم يبق لخليل بخليله سرور .

(٣) دعوْتُك يا بُنَىَّ فلَمْ تُجبْنى فَرُدت دعْـوتى يـأْساً عليًّا

(٤) بالله قـلْ لِى يَا فُلَا نُ ولِى أَقُولُ ولِى أُسـائِلْ
أَتُريد فى السَّبْعِين ما قد كنْتَ فى العشرين فَاعِلْ

(٥) يا دارَ عاتِكَة حُيِّيتِ مِنْ دار سيَّرْتُ فِيكِ وفيمن فيكِ أَشْعَارى

(٤)

(١) هات مثالين للهمزة المستعملة فى نداء البعيد ، وبين السبب فى خروجها عن أَصل وضعها فى كل من هذين المثالين .

(٢) هات مثالين للمنادى القريب المنزَّل منزلة البعيد لعلو مكانته .

(٣) « « « « « « « لانحطاط منزلته .

(٤) « « « « « « « لغفلته وشرود ذهنه .

(٥) مثل للنداء المستعمل فى التحسر والزجر والإغراء .

(٥)

انثر البيتين الآتيين نثرا فصيحاً وهما لأَبى الطيب ، وبين الغرض من النداء :

يا أَعْدل النَّاس إلَّا فى مُعاملَتى فِيك الخِصامُ وأَنتَ الْخَصْمُ والْحكمُ
أُعِيذُها نَظَراتٍ مِنْكَ صادِقَةً أَنْ تَحْسب الشَّحْم فِيمن شحْمُهُ ورَمُ

الْقَصْرُ

تعريفه ـ طُرُقه ـ طَرَفاه

الأَمثلة :

(١) لَا يَفُوزُ إِلَّا الْمُجِدُّ . (٤) ما الأَرض ثابتةٌ بل متحركةٌ .
(٢) إنما الحياةُ تَعَبٌ . (٥) ما الأَرض ثابتة لكن متحركة .
(٣) الْأَرْضُ مُتَحَرِّكَةٌ لا ثابتة . (٦) عَلَى الرِّجَال العاملين نُثنى .

البحث :

إذا تأَملتَ الأَمثلة السابقة رأَيت أَن كل مثال منها يتضمن تخصيص أَمر بآخر ، فالمثال الأَولُ يفيد تخصيص الفَوْز بالمُجدِّ ، بمعنى أَن الفوز خاصٌّ بالمُجِدِّ لا يتعداه إلى سواه . والمثال الثانى يُفيد تخصيص الحياة بالتَّعب ، بمعنى أَن الحياة وقْفٌ على التعب لا تفارقه إلى الراحة . وهكذا يقال فى بقية الأَمثلة .

وإذا أَردت أَن تعرف منشأَ هذا التخصيص فى الكلام ، كفاك أَن تبحث فى الأَمثلة قليلاً . خذ المثال الأَول مثلاً واحذف منه أَداتى النفى والاستثناء ، تجد أَن التخصيص قد زال منه وكأَنه لم يكن . إذًا النفىُ والاستثناءُ هما وسيلة التخصيص فيه ، وبمثل هذه الطريقة تستطيع أَن تدرك أَن وسائل التخصص فى الأَمثلة الباقية هى : إنما : والعطف بلا ، أَو بل ، أَو لكن ، وتقديمُ ما حقه التأْخير . ويُسمِّى علماءُ المعانى التخصيص المستفاد من هذه الوسائل **بالقصر** ، ويسمون الوسائل نَفْسها **طرق القصر** .

ارجع إلى الأَمثلة مرة أُخرى وابحث فيها واحدًا واحدًا : تجد المتكلم فى المثال الأَول يقْصُر الفوز على المُجد ، فالفوز مقصور ، والمُجدّ مقصور عليه ، وهما **طرفا القصر** . ولما كان الفوز صفة من الصفات والمُجدُّ هو الموصوف بهذه الصفة ، كان القصر فى هذا المثال **قصر صفة على**

موصوف ، بمعنى أن الصفة لا تتعدى الموصوف إلى موصوف آخر . وتراه فى المثال الثانى يقْصُر الحياة على التعب ، فالحياة مقصورة ، والتعب مقصور عليه ، ولما كانت الحياة موصوفة والتعب صفة لها ، كان القصر فى المثال **قصر موصوف على صفة** ، بمعنى أن الموصوف لا يفارق صفة التعب إلى صفة الراحة ، ولو أنك تدبرت جميع أمثلة القصر ما ذكر منها هنا وما لم يذكر ، لوجدت كل مثال يشتمل على مقصور ومقصور عليه ، ووجدت القصر لا يخلو عن حال من الحالين السابقين . فهو إما قصر صفة على موصوف ، وإما قصر موصوف على صفة .

وإذا أردت أن تعرف ضوابط تسهل عليك معرفة كل من المقصور والمقصور عليه فى كل مايرد عليك ، فانظر إلى القواعد الآتية تجد ذلك مفصَّلاً .

القواعد :

(٥٧) الْقَصْرُ تخْصِيصُ أَمْرٍ بِآخَرَ بطَرِيقٍ مَخْصُوصٍ .

(٥٨) طُرُقُ الْقَصْر الْمَشْهُورَةُ أَرْبَع[1] :

(ا) النَّفْىُ والاِسْتِثْناء ، وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُور عَلَيْهِ مَا بَعْدَ أَدَاةِ الاسْتِثْناء .

(ب) إنّما ، وَيَكُونُ الْمقْصُورُ عَلَيْهِ مُؤخَّرًا وُجُوباً .

(حـ) الْعَطْفُ بلا ، أَوْ بَلْ ، أَوْ لَكِنْ ، فإِنْ كان العطفُ بلَا كان المقصورُ عليه مقابلاً لما بعدها ، وإن كان العطف ببَلْ أَوْ لكنْ كان الْمقصورُ عَلَيْهِ ما بَعْدَهُما .

---

(١) هناك طرق للقصر غير هذه الأربع ، منها ضمير الفصل نحو : على هو الشجاع ، ومنها التصريح بلفظ وحده أو ليس غير نحو : أكرمت محمداً وحده ، ولكنها لا تعد من طرقه الاصطلاحية .

(د) تقْدِيمُ مَا حَقُّهُ التَّأْخِيرُ . وهُنا يَكُونُ الْمَقْصُورُ عَلَيْهِ هُوَ الْمُقدَّمَ .

(٥٩) لِكلِّ قَصْر طَرَفان : مَقْصُور ، ومَقْصُورٌ عَلَيْهِ .

(٦٠) يَنْقسِمُ القصْرُ باعْتِبارِ طَرَفَيْهِ قِسْميْن :

(ا) قَصْرُ صِفَة عَلَى مَوْصُوف .

(ب) قَصْرُ مَوْصُوف عَلَى صِفَة .

تقسيم القَصْر إلى حقيقى وإضافى

الأَمثلة :

(١) لايُروى مِصْرَ مِنَ الْأَنْهارِ إلَّا النِّيلُ. (٣) لَا جَوادَ إلَّا عَلىّ.

(٢) إنَّما الرَّازق اللهُ . (٤) إنَّما حَسَنٌ شُجَاع.

البحث :

قدَّمنا لك أَن القصر ينقسم بحسب طَرَفَيه إلى قصر صفة على موصوف ، وقصر موصوف على صفة ، وهنا نريد أَن نبين لك أَنه ينقسم تقسيماً آخر باعتبار الحقيقة والواقع .

تأَمل المثالين الأَولين تجد القصر فيهما من باب قصر الصفة على الموصوف ، وإذا تدبرت الصفة فى كل من المثالين وجدت أَنها لا تفارق موصوفها إلى موصوف آخر مطلقاً ، فإرواءُ الأَرض المصرية فى المثال الأَول صفة لا تتجاوز النيل إلى غيره من سائر أَنهار الدنيا ، والرزقُ فى المثال الثانى صفة لا تتعدى المولى عز وجل إلى سواه ، ويُسمَّى القصر فى هذين المثالين **قصراً حقيقيًّا** ، وكذلك كل قصر يختص فيه المقصورُ بالمقصور

عليه اختصاصاً منظوراً فيه إلى الحقيقة والواقع بألّا يتعداه إلى غيره أصلاً.

انظر إلى المثالين الأخيرين تجد القصر فى أولهما من باب قصر الصفة على الموصوف وفى ثانيهما من باب قصر الموصوف على الصفة ، وإذا تدبرت المقصور فى كل منهما وجدته مختصًّا بالمقصور عليه بالإضافة (أى بالنسبة) إلى شىء معين ، لا إلى جميع ما عداه ، فإن المتكلم فى المثال الأول يقْصِد أن يقصر صفة الجود على علىٍّ بالنسبة إلى شخص آخر معين كخالد مثلاً ، وليس من قصده أن هذه الصفة لا توجد فى غير علىّ من جميع أفراد الإنسان ، فإن الواقع خلاف ذلك . وكذلك الحال فى المثال الثانى ، ولذلك يُسمى القصر فى المثالين **قصراً إضافيا** ، وكذلك كل قصر يكون التخصيص فيه بالإضافة إلى شىءٍ آخر .

القاعدة :

(٦٢) يَنْقَسِمُ القَصْرُ باعْتِبار الْحَقِيقَةِ والْواقِعِ قِسْمَيْن :

(ا) حَقِيقِيٌّ[1] وهُوَ أَنْ يَخْتَصَّ الْمَقْصُورُ بالْمَقْصُور عَلَيْهِ بحَسَبِ الْحَقِيقَةِ والْوَاقِعِ بألَّا يَتَعَدَّاهُ إِلَى غَيْرِهِ أَصْلًا .

(ب) إِضَافِيٌّ[2] وهُوَ مَا كَانَ الاخْتِصَاصُ فِيهِ بحَسَبِ الإِضَافَةِ إِلَى شَيْءٍ مُعَيَّن[3] .

---

(١) القصر الحقيقى يكثر فى قصر الصفة على الموصوف كما رأيت فى الأمثلة ، ولا يكاد يوجد فى قصر الموصوف على الصفة .

(٢) القصر الإضافى يأتى كثيراً فى كل من قصر الصفة على الموصوف وقصر الموصوف على الصفة كما رأيت فى الأمثلة ، وهو ميدان فسيح لتنافس الكتاب والشعراء .

(٣) ينقسم القصر الإضافى باعتبار حال المخاطب ثلاثة أقسام ، وذلك أنك إذا قلت الشجاع على لا حسن مثلا ، فإن كان المخاطب يعتقد اشتراك على وحسن فى الشجاعة كان القصر « قصر إفراد » ، وإن كان يعتقد عكس ما تقول كان القصر « قصر قلب » ، وإن كان متردداً لا يدرى أيهما الشجاع كان القصر « قصر تعيين » .

نمُوذَجٌ (١)

بيِّن فيما يأْتى نوع القصر وعيِّن كلاًّ من المقصور والمقصور عليه :

(١) قال تعالى : «إنَّما يخشَى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ».

(٢) قال تعالى : «وما مُحمَّدٌ إلا رسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مات أَوْ قُتِل انْقَلَبْتُمْ عَلى أَعْقابكُمْ» ؟

(٣) قال لَبِيد :

وما المرْءُ إلَّا كالهِلالِ وضَوْئِهِ يُوافى تمامَ الشهْر ثم يَغِيبُ

(٤) وقال ابن الرُّومى فى المدح :

أَمْوالُهُ فى رقاب الناس مِنْ مِنَنٍ لَا فى الخزَائن مِنْ عيْنٍ ومن نَشبِ[1]

(٥) وقال :

وما عجبْنا وإنْ أَصْبحْتَ تُعْجِبُنَا أَنْ نَجْتَنى ذَهباً مِنْ موْضِعِ الذَّهب

لكن عجِبنا لِعُرْفٍ لا نكافئُهُ ونَسْتَزيدُك مِنهُ أَكْثَر العجبِ

(٦) وقال الغَطمَّش الضَّبِىُّ[2] :

إلى الله أَشكو لَا إلى الناس أَنَّنى أَرى الأَرضَ تَبْقى والأَخِلَّاءَ تذْهب

---

(١) العين : الذهب والفضة ، والنشب : المال ، يقول : إنه ينفق أمواله فى المنن التى يقلد بها أعناق الرجال ولا يخزنها فى خزائنه .

(٢) شاعر جاهلى من شعراء الحماسة ، والغطمش : الجائر الظالم .

الإجابة

الرقم	نوع القصر باعتبار طرفيه	نوعه باعتبار الواقع	طريق القصر	المقصور	المقصور عليه
١	صفة على موصوف	حقيقى	إنما	يخشى الله	العلماء
٢	موصوف على صفة	إضافى	النفى والاستثناء	محمد	رسول
٣	« «	«	« «	المرء	كونه كالهلال
٤	« «	«	العطف بلا	أمواله	كونها فى رقاب الناس
٥	صفة على موصوف	«	العطف بلكن	عجبنا	لعرف لا نكافئه
٦	« «	«	تقديم الجار والمجرور	أشكو	لفظ الجلالة

نَمُوذَج (٢)

عيِّن المقصور عليه فى الجملتين الآتيتين ، وبين الفرق بينهما فى المعنى :

(ا) إنما يُدافعُ عنْ أَحْسابِكُمْ علىٌّ . (ب) إنما على يدافع عن أحسابكم.

الإجابة

(ا) المقصور عليه فى الجملة الأُولى علىّ[1] فالمتكلم يقول لمخاطبيه : علىٌّ وحده يستقل بالدفاع عن أحسابكم ولا يشترك معه فى ذلك أحد . ومن الجائز أن تكون لعلى أعمال أُخرى يخدمُهم بها غير هذه المدافعة ، كمعالجة مرضاهم ومواساة فقرائهم .

(ب) أما فى الجملة الثانية فالمقصور عليه المدافعة ، فعلى لا يقوم بسواها من الأعمال ، على أنه من الجائز أن يشترك معه فى الدفاع سواه . فأنت ترى أن الجملة الأُولى أبلغ فى مدح على من وجهين : أما أولاً فلأنها تفيد أنه مستقل بالدفاع لا شريك له فيه ، وأما ثانياً فلأنها لا تنفى أن له أعمالا أُخرى غير المدافعة .

---

(١) وذلك لأنك قد علمت أن المقصور عليه مع إنما يكون مؤخراً وجوباً .

تمرينات

(١)

بين نوع القصر ، وطريقه ، وعيِّن كلاًّ من المقصور والمقصور عليه فيما يأتى :

(١) قال تعالى : « إنما علَيْكَ الْبلاَغُ وعلَيْنَا الحِسابُ » .

(٢) وقال تعالى : « إياك نَعْبُدُ وإياكَ نَسْتعِين » .

(٣) وقال ابن الرومى يمدح :

معْرُوفهُ فى جميع النَّاس مُقْتَسَمٌ ... فَحمْدُهُ فِى جمِيعِ النَّاس لاَالْعُصَب[1]

(٤) وقال :

يَتغــابى لهُمْ ولَيْس لِمُوق ... بلْ لِلُبٍّ يفُوقُ لُبَّ اللَّبيبِ[2]

(٥) وقال :

يهْتَزّ عِطْفاهُ عِنْد الحمْدِ يَسْمعُهُ ... منْ هِزَّةِ الْمجْدِلَا مِنْ هِزَّةِ الطَّرب[3]

(٦) وقال :

وما قُلْتُ إلَّا الحقَّ فيكَ ولَمْ تَزلْ ... علَى منْهَجٍ مِنْ سُنَّةِ الْمجْدِلاحِب[4]

(٧) وقال ابن المعتز :

أَلا إنَّما الدُّنْيا بلاغ لِغاية ... فَإِمَّا إلى غَىٍّ وإِمَّا إلى رُشدِ

(٨) وقال :

وما العيْشُ إلَّا مدَّةٌ سوْف تَنْقَضِى ... وما الْمالُ إلا هالِكٌ وابْنُ هالِكِ

(٩) وقال أبو الطيب :

برجاءِ جُودِك يُطردُ الْفَقْــرُ ... وبأَنْ تُعــادَى يَنْفَدُ العُمْرُ

---

(١) يقول : إن معروفه عام لجميع الناس لا خاص بطوائف بعينها .
(٢) يتغابى : يظهر الغباوة ، والموق : الحمق فى غباوة ، واللب : العقل .
(٣) عطفاه : جانباه ؛ يعنى يميل يمنة ويسرة .
(٤) المنهج : الطريق الواضح ، واللاحب : الطريق الواضح أيضاً .

(١٠) وقال :

لَيْس التَّعجُّبُ مِنْ مواهِبِ ماله بل مِن سلامتها إلى أَوْقاتها[1]

(١١) وقال تعالى : « وما توْفِيقى إلَّا باللهِ علَيْهِ تَوكَّلتُ وإلَيْهِ أُنِيبُ » .

(١٢) إلى الله أَشكو أَنَّ فى النفْسِ حاجةً تمرُّ بها الأَيامُ وهْى كما هِيا

(١٣) وقال أَبو الطيب :

وإنما نحْنُ فى جيل سواسِية شُرٌّ عَلَى الْحُرِّ مِنْ سُقْمٍ على بَدَنِ[1]

(١٤) راحلٌ أَنت والليالى نزولُ ومضرٌّ بك البقاءُ الطويل

(١٥) وقال ابن الرومى :

وما يُرِيغُونَ بالنُّعْمَى مُكافأَةً لَكِنْ يُقَضُّونَ مالِلْمجْدِ مِنْ أَرَب[3]

(١٦) وقال أَبو العتاهية يمدحُ يزيدَ بْن مزيد الشَّيْبانى[4] :

كأَنَّكَ عِنْد الْكَرِّ والحرْب إنَّما تَفر مِن الصفِّ الذى مِن ورائكا

فَما آفةُ الأَبطال غَيرَكَ فى الْوغَى وما آفةُ الأَمْوالِ غَيْر حِبائكا

(١٧) وقال أَبو تمام :

على مثلها من أَربُعٍ وملاعِبِ تُذَالُ مَصُوناتُ الدموعِ السواكب[5]

---

(١) يقول لا نتعجب من كثرة هباته ، وإنما نتعجب كيف بقيت أمواله وسلمت من التفريق إلى أوقات بذلها إذ ليس من عاداته أن يمسك شيئاً .

(٢) الجيل : الصنف من الناس ، وسواسية بمعنى متساوين وهو خاص بالذم أى متساوين فى اللؤم والخسة ، وشر : اسم تفضيل بمعنى أشر .

(٣) يقول : لا يطلبون جزاء على نعمهم ولكنهم يقضون واجب المجد .

(٤) قائد شجاع . كان والياً بأرمينية ، وندبه هرون الرشيد لقتال الوليد بن طريف عظيم الخوارج فى عهده فقتله يزيد وعاد إلى أرمينية ، وتوفى سنة ١٨٥ هـ ، ورثاه شعراء كثيرون .

(٥) الأربع جمع ربع وهو المنزل ، والملاعب : أمكنة لعب الناس أو هبوب الرياح ، وتذال : تهان .

(٢)

عيِّن المقصور عليه فى الجمل الآتية ، وبين الفرق بينها فى المعنى :

(ا) إنما يجِبُ علىَّ السباحة فى الصباح .

(ب) إنما يحب السباحة فى الصباح علىّ .

(حـ) إنما يحب على فى الصباح السباحة .

(٣)

أىُّ الجملتين أبلغُ فى مدح سعيد ؟ وضح السبب :

(ا) إنما يجيد الْخِطابةَ سعِيدٌ .

(ب) إنما سعيد يجيدُ الخطابةَ .

(٤)

اجعل الجمل الآتية مفيدة للقصر ، ثم بين نوع القصر وطريقه :

(١) الفراغُ مفْسدةٌ .

(٢) بركةُ المال فى أداءِ الزكاة .

(٣) السلامة فى التأنى .

(٤) صداقةُ الجاهل تَعَبٌ .

(٥) سكتٌ عن السَّفيه .

(٦) طُول التجارب زيادةٌ فى العقل .

(٧) يدُومُ السرور برؤْية الإخوان .

(٨) غَدَرَكَ منْ دلَّكَ على الإساءة .

(٩) يسُودُ المرءُ قوْمه بالإحسان إليهم .

(١٠) وضْعُ الإحْسان فى غير موْضِعِهِ ظلمٌ .

(٥)

ما يسُرُّ الوالِدَيْن إلَّا نَجابَةُ الأبناء .

متى يكون القصر فى هذه الجملة قصر قلب؟ ومتى يكون قصر إفراد ؟ ومتى يكون قصر تعيين ؟

(٦)

(١) اجعل الجملة الآتية دالة على قصر صفة على موصوف من غير أن تزيد على كلماتها شيئاً : نَحْترمُ العالِمَ العامِلَ .

(٢) اجعل الجملة الآتية دالة على القصر واستخدم فى ذلك طرق القصر التى تعرفها : مَلِلنا صُحْبة الجُهّال .

(٣) عِند البلاءِ يُعْرف الصَّديقُ .

اجعل الجملة السابقة دالة على القصر مرة من طريق النَّفْى والاستثناء ، ومرة من طريق العطف .

(٧)

رُدَّ بأُسْلُوبٍ من أساليب القصر على من اعتقد أنَّ الأرض ثابتة ، ثم بين نوع القصر وطريقه فى الجملة التى تأْتى بها .

(٨)

وضِّح ما اشتملت عليه القصة الآتية من أنواع القصر ، وطرقه ، وبين المقصور والمقصور عليه فى كل جملة فيها قصر :

زَعم العربُ أَنَّ أَرْنباً التقطت تمرةً فاختلسها الثَّعلبُ فأكلها ، فانْطَلقا يختصمان إلى الضَّب ، فقالت الأَرنب : يا أَبا الحِسْل[1] ؛ فقال : سمِيعاً دعوْت ؛ قالت : أَتيناك نختصم ؛ قال : عادلًا حكَّمْتُما ؛ قالت : فاخرج إلينا ؛ قال : فى بيته يُؤْتَى الحكم[2] ؛ قالت إنِّى وجدتُ تمرَة ؛ قال ، حُلْوة فكليها ؛ قالت : فاختلسها ثعالَةُ[3] ؛ قال : لنفسه بغى الخيْر ؛ قالت فَلطمْتُهُ لَطْمةً : قال : بحقكِ أَخذْتِ ؛ قالت فَلَطَمَنى أُخْرى ؛ قال : حرٌّ انْتَصر ؛ قالت : فاقض بيْننا ؛ قال : قدْ فَعلْتُ .

فذهبت أَقواله كلُّها أَمثالًا .

---

(١) أبو الحسل : كنية الضب . (٢) الحكم : الذى يحكم بين الناس .

(٣) ثعالة : لقب الثعلب .

(٩)

(١) هات جملتين لقصر الصفة على الموصوف بحيث يكون فى الأُولى حقيقيًّا وفى الثانية إضافيًّا .

(٢) هات جملتين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون القصر فيهما إضافيًّا .

(٣) مثل لكل طريق من طرق القصر بمثالين يكون المقصور عليه فى أولهما صفة ، وفى ثانيهما موصوفاً .

(٤) هات مثالين لقصر الموصوف على الصفة بحيث يكون طريق القصر فى أولهما العطف ببل ، وفى ثانيهما العطف بلكن .

(١٠)

اشرح البيتين الآتيين وبيِّن نوع القصر وطريقه فيهما ، وهما لأبى الطيب فى مدح أبى شجاع فاتك[1] :

لَا يدْرِكُ المجْدَ إلَّا سيِّدٌ فطنٌ لِما يَشُقُّ على السادات فعَّالُ[2]
لا وارثٌ جهلَتْ يُمْناهُ ما وهبَتْ ولا كَسُوبٌ بغَيْر السَّيْف سئّال

---

(١) هو فاتك الكبير المعروف بالمجنون ، كان رومياً أخذه الإخشيد كرهاً من سيده بلا ثمن ، وأعتقه وأبقاه عنده حراً فى عداد مماليكه ، وكان كريم النفس بعيد الهمة شجاعاً كثير الإقدام ، ولذلك قيل له المجنون ، ولما مات الإخشيد انتقل إلى الفيوم فاعتل بها جسمه وأحوجته العلة إلى الانتقال إلى مصر ، فالتقى فيها بأبى الطيب المتنبى ووصله بالهدايا النفيسة وسمع مدائحه ، وتوفى سنة ٣٥٠ هـ . (٢) يشق : يصعب ، والسادات : جمع سادة ، جمع سيد .

الْفَصْلُ والْوَصْلُ

(١) مَواضِع الْفَصْل

الأَمثلة :

(١) قال أَبو الطيب :

وَمَا الدَّهْرُ إِلَّا مِنْ رُوَاةِ قَصَائِدِى
إِذَا قُلْتُ شِعْرًا أَصْبَحَ الدَّهْرُ مُنْشِدَا[١]

(٢) وقال أَبو العلاء :

النَّاسُ لِلنَّاس مِنْ بَدْوٍ وَحَاضِرَة
بَعْضٌ لِبَعْضٍ وَإِنْ لَمْ يَشْعُرُوا خَدَمُ[٢]

(٣) وقال تعالى :

«يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُون» .

(٤) وقال أَبو العتاهية :

يَاصَاحِبَ الدُّنْيَا الْمُحِبَّ لها أَنْتَ الَّذِى لَايَنْقَضِى تَعَبُهْ

(٥) وقال آخر :

وَإِنَّمَا الْمَرْءُ بِأَصْغَرَيْه كُلُّ امْرِئٍ رَهْنٌ بِمَا لَدَيْهِ[٣]

---

(١) يقول : إن الدهر من جملة شعرى ، وذلك لأن ألسنة الناس جميعاً تتناقله فى كل وقت ، فكأن الدهر إنسان ينشد قصائدى ويرويها .

(٢) البدو : البادية ، والحاضرة : ضد البادية وهى المدن والقرى والريف ، يقال فلان من أهل الحاضرة وفلان من أهل البادية ، ومعنى البيت أن الناس لا بد لهم من التعاون فلا يتهيأ لإنسان أن يستقل فى هذه الحياة بشئون نفسه .

(٣) الأصغران : القلب واللسان ، ورهن بما لديه : يجازى بما عمل .

(٦) وقال أبو تمام :

لَيْسَ الْحِجَابُ بمُقصٍ عنْكَ لى أَمَلًا
إِنَّ السَّمَاءَ تُرَجَّى حِينَ تَحْتَجِبُ[١]

البحث :

يقصِد علماء المعانى بكلمة « الوصْل » عطفَ جملة على أُخرى « بالواو »[٢] كقول الأَبيوَرْدى يخاطب الدهر :

العَبْدُ رِيَّانُ مِنْ نُعْمى تجــودُ بهَا والحرُّ مُلْتَهِبُ الأَحْشاءِ من ظَمإِ[٣]

ويقصدون بالفصل ترك هذا العطف ، كقول المعرى :

لا تَطْلُبَنَّ بآلةٍ لَكَ حاجةً قَلَمُ البليغ بغيْر حظٍّ مِعْزَلُ

هذا ولكل من الفصل والوصل مواطن تدعو إليها الحاجة ويقتضيها المقام ، وسنبدأُ لك بمواطن الفصل :

تأَمل أَمثلة الطائفة الأُولى تجد بين الجملة الأُولى والثانية فى كل مثال تآلفاً تامًّا ، فالجملة الثانية فى المثال الأَول ، وهى « إذا قُلتُ شِعْرًا أَصْبح الدَّهْرُ مُنشِدًا » لمْ تجئْ إلا توكيدًا للأُولى ، وهى جملة « وما الدهرُ إلا من رُواة قصائدِى » ، فإن معنى الجملتين واحد . والجملة الثانية فى المثال الثانى « بعضٌ لبعض وإن لم يشعرُوا خدمُ » ، ما جاءت إلا لإيضاح الأُولى « الناسُ للناس من بدْوٍ وحاضرة » ، فهى بيان لها ، والجملة الثانية فى المثال الثالث جزء من معنى الأُولى ؛ لأَن تفصيل الآيات بعض

---

(١) المراد بالحجاب احتجاب الممدوح عن قصاده ، ومقص : مبعد ، وتحتجب : تختفى تحت الغيوم .

(٢) إنما قصر علماء المعانى عنايتهم فى هذا الباب على البحث فى عطف الجمل « بالواو » دون بقية حروف العطف ؛ لأنها هى الأداة التى تخفى الحاجة إليها ، ويحتاج العطف بها إلى لطف فى الفهم ودقة فى الإدراك ، إذ أنها لا تدل إلا على مطلق الجمع والاشتراك ، أما غيرها من حروف العطف فتفيد معانى زائدة ، كالترتيب مع التعقيب فى الفاء ، والترتيب مع التراخى فى ثم ، وهلم جرًّا ، ومن أجل ذلك سهل إدراك مواطنها .

(٣) الريان : ضد الظمآن ، والنعمى : النعمة .

من تدبير الأُمور ، فهى بدلٌ منها . ولا شك أنك لَحَظْتَ أن الجملة الثانية مفصولة عن الأُولى فى كل مثال من الأَمثلة الثلاثة ، ولا سر لهذا الفصل سوى ما بينهما من تمام التآلف وكمال الاتحاد[1] . ولذا يقال إن بين الجملتين **كمال الاتصال** .

تأمل مِثالَى الطائفة الثانية تجد الأَمر على العكس ، فإن بين الجملة الأُولى والثانية فى كل مثال منتهى التباين وغايةَ الابتعاد ، فإنهما فى المثال الرابع مختلفان خبرًا وإنشاءً . وهذا جلى واضح . أما فى المثال الخامس فلأَنه لا مناسبة بينهما مطلقاً إذ لا رابطة فى المعنى بين قوله : « وإنما المرءُ بأَصغريه » وقوله : « كل امرئٍ رهْنٌ بما لديه » ، وهنا تجد الجملة الثانية فى كل من المثالين مفصولة عن الأُولى ، ولا سر لذلك إلا كمالُ التباين وشدةُ التباعد[2] ، ولذلك يقال فى هذا الموضع إن بين الجملتين **كمال الانقطاع** .

انظر إلى المثال الأَخير تر أَن الجملة الثانية فيه قوية الرابطة بالجملة الأُولى ؛ لأَنها جواب عن سوال نشأَ من الأُولى ، فكأَن أَبا تمام بعد أَن نطق بالشطر الأَول توهم أَن سائلًا سأَله ، كيف لا يحولُ حجاب الأَمير بينك وبين تحقيق آمالك ؟ فأَجاب : « إن السماءَ ترجَّى حين تحتَجب » فأَنت ترى أَن الجملة الثانية مفصولة عن الأُولى ، ولا سر لهذا الفصل إلا قوة الرابطة بين الجملتين ، فإن الجواب شديد الارتباط والاتصال بالسؤَال فأَشبهت الحالُ هنا من بعض الوجوه حال كمال الاتصال التى تقدمت ، ولذلك يقال إن بين الجملتين **شبه كمال الاتصال** .

---

(١) لأن الجملة الثانية هنا إما أن تكون بمعنى الأولى أو بمنزلة الجزء منها كما رأيت ، وهذا يقتضى ترك العطف لأن الشىء لا يعطف على نفسه ، والجزء لا يعطف على كله .

(٢) إنما وجب ترك العطف هنا لأن العطف يكون للجمع بين الشيئين والربط بينهما . ولا يكون ذلك فى المعنيين إذا كان بينهما غاية التباين .

القواعد :

(٦٢) الْوَصْلُ عَطْفُ جُمْلةٍ عَلَى أُخْرَى بالواو ، والفَصْلُ تَرْكُ هذا العطف ، ولكلٍّ مِنَ الفَصْل والوَصْل مَوَاضِعُ خاصَّةٌ .

(٦٣) يَجبُ الْفَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن فى ثَلاَثَةِ مَواضعَ :

(ا) أَنْ يَكُونَ بَيْنَهُمَا اتِّحَادٌ تَامٌّ ، وذلك بـأَنْ تَكونَ الْجمْلَةُ الثَّانيةُ تَوْكِيدًا لِلْأُولَى ، أَوْ بَيَاناً لها ، أَوْ بَدَلاً مِنْهَا ، وَيُقَالُ حِينَئِذ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الِاتِّصَال .

(ب) أَنْ يَكونَ بَيْنَهُمَا تَبَايُنٌ تَامٌّ ، وذلكَ بـأَنْ تَخْتلفَا خَبَرًا وَإِنشَاءً ، أَوْ بـأَلَّا تكونَ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ مَا ، وَيُقَالُ حِينَئِذ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن كَمَالَ الِانْقِطَاع .

(حـ) أَنْ تَكونَ الثَّانيةُ جَواباً عَنْ سُؤَالٍ يُفْهَمُ مِنَ الْأُولَى ، وَيُقَالُ حِينَئِذٍ إِنَّ بَيْنَ الجمْلَتَيْن شِبْهَ كَمَال الِاتِّصَال[1] .

---

(١) ذهب بعض المتأخرين من علماء المعانى إلى زيادة موضعين للفصل على المواضع التى ذكرناها ، ولكن هذين الموضعين عند التأمل يمكن ردهما إلى الموضع الثالث .

(٢) مواضِعُ الْوَصْل

الأَمثلة :

(١) قال أَبو العلاء المعرى :

وحُبُّ العَيْشِ أَعْبَدَ كُلّ حُرٍّ ... وَعَلَّمَ سَاغِباً أَكْلَ المُرَار(١)

(٢) وقال أَبو الطيب :

ولِلسِّرِّ مِنّى مَوْضعٌ لاَ يَنَالُهُ ... نَدِيمٌ وَلَا يُفْضِى إِلَيْهِ شَرَاب(٢)

* * *

(٣) وقال :

يُشَمِّرُ لِلُّجِّ عَنْ سَاقِهِ ... وَيَغْمُرُهُ الْمَوْجُ فى السَّاحِلِ(٣)

(٤) وقال بشارُ بن بُرد :

وأَدْنِ إِلى الْقُرْبَى المُقَرّبَ نَفْسَهُ

ولَا تُشْهِد الشورَى امْرَأً غَيْرَ كاتِمِ(٤)

(٥) لا وبارك اللهُ فِيك : (تجيب بذلك من قال : هل لك حاجة أُساعدك فى قضائها)

(٦) لا ولطَفَ اللهُ بِهِ : (تجيب بذلك من قال : هل أَبلَّ أَخوك من علته ؟)

---

(١) الساغب : الجائع ، والمرار : شجر مر ، يقول : إن حب الحياة يجعل الحر عبداً ويضطر الإنسان إلى احتمال الأذى .

(٢) النديم : الجليس على الشراب ، ويفضى : ينتهى ، يقول : إنه كتوم للسر يضعه حيث لا يطلع عليه النديم ولا يكشف عنه الشراب .

(٣) اللج : معظم الماء ، والبيت مثل يضرب لمن تحدثه أطماعه بإدراك المطالب العظيمة وهو يعجز عن اليسيرة .

(٤) يقول : قرب من يتقرب إليك بعقله وكماله ، ولا تستشر أمام من لا يكتم الأسرار .

البحث :

تـأمل الجملتين « أَعْبَدَ كُل حُرٍّ » و « علَّمَ ساغباً أَكْلَ المُرار » فى البيت الأول ، تجد أن للأُولى منهما موضعاً من الإعراب لأنها خبر للمبتدإ قبلها ، وأن القائل أراد إشراك الثانية لها فى هذا الحكم الإعرابى . وتـأمل الجملتين : « لا يناله نديم » و « لا يُفضِى إليه شَراب » فى البيت الثانى ، تجد أن للأُولى أيضاً موضعاً من الإعراب لأنها صفة للنكرة قبلها ، وأنه أُريد إشراك الثانية لها فى هذا الحكم ، وإذا تـأملت الجملة الثانية فى كل من البيتين وجدتها معطوفة على الجملة الأُولى موصولة بها . وكذلك يجب الوصل بين كل جملتين جاءتا على هذا النحو .

أُنظر فى البيت الثالث إلى الجملتين : «يُشمِّرُ للُّجِّ عن ساقه » و «يغمُرُه الموج فى الساحل » تجدهما متحدتين خبرًا متناسبتين فى المعنى[1] وليس هناك من سبب يقتضى الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأُولى ، والمثال الرابع كذلك مكون من جملتين متحدتين إنشاءً هما : «أَدْنِ » و« لا تشهد » وهما متناسبتان فى المعنى وليس هناك من سبب يقتضى الفصل ولذلك عطفت الثانية على الأُولى ، وهكذا يجب الوصل بين كل جملتين اتحدتا خبرًا أو إنشاءً وتناسبتا فى المعنى ولم يكنَ هناك ما يقتضى الفصل بينهما .

انظر فى المثال الخامس إلى الجملتين : «لا » و «بارك الله فيك » تجد أن الأُولى خبرية[2] ، والثانية إنشائية[3]. وأنك لو فصلت فقلت : «لا بارك الله فيك » لتوهم السامع أنك تدعو عليه فى حين أنك تقصد الدعاء له ، ولذلك وجب العدول عن الفصل إلى الوصل . وكذلك الحال فى جملتى المثال الأخير ، وفى كل جملتين اختلفتا خبرًا وإنشاءً وكان ترك العطف بينهما يوهم خلاف المقصود .

---

(١) يراد بالتناسب أن يكون بين الجملتين رابطة تجمع بينهما كأن يكون المسند إليه فى الأولى له تعلق بالمسند فى الثانية ، وكأن يكون المسند فى الأولى مماثلا للمسند فى الثانية أو مضاداً له .

(٢) « لا » فى هذا الموضع قائمة مقام جملة خبرية إذ التقدير « لا حاجة لى » وكذلك يقال فى المثال الثانى .

(٣) جملة « بارك الله فيك » خبرية لفظاً إنشائية معنى ، والعبرة بالمعنى .

القاعدة :

(٦٤) يَجبُ الْوَصْلُ بَيْنَ الْجُمْلَتَيْن فى ثَلاَثَة مَوَاضعَ :

(ا) إذَا قُصِدَ إشْرَاكُهُمَا فى الْحُكْم الإعْرابى .

(ب) إذَا اتَّفَقَتَا خبَرًا أَوْ إنشاءً وكانَتْ بَيْنَهُمَا مُنَاسَبَةٌ تَامَّة ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ سَبَبٌ يَقْتَضى الْفَصلَ بَيْنَهُما .

(حـ) إذَا اخْتَلَفَا خَبَرًا وَإنشاءً وَأَوْهَمَ الْفَصْلُ خِلاَف الْمَقْصُودِ .

نموذج

لبيان مواضع الوصل والفصل فيما يأتى مع ذكر السبب فى كل مثال :

(١) قال تعالى :

« إن الَّذِين كَفَرُوا سَوَاءٌ عليْهِمْ أَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لم تُنْذِرْهُمْ لا يُؤْمِنُون » .

(٢) وقال الأحنف بن قيس : لا وفاء لكَذُوب ولا راحة لحسود .

(٣) وقال تعالى : « وأَوجَس مِنْهُمْ خِيفَةً[1] قالوا لَا تَخَفْ » .

(٤) وجاء فى الحِكَم : كَفَى بالشَّيْبِ داءً . صلاحُ الإنسان فى حِفظِ اللسان.

(٥) وينسب للإمام على كرم الله وجهَه .

دعِ الإسراف مقتصدًا ، واذكر فى اليوم غدًا ، وأمْسِك مِن المال بقَدْر ضَرُورتِكَ ، وقدِّم الفَضْل لِيوْم حاجتِك .

(٦) ولأَبى بكر رضى الله عنه :

أَيُّها الناسُ ، إنِّى وُلِّيتُ عليْكمْ ولَسْتُ بخيركم .

(٧) وقال أبو الطيب :

إن نُيوبَ الزمانِ تَعْرِفُنى أنا الذى طال عَجْمُهاعُودِى[2]

---

(١) أوجس منهم خيفة : أحس منهم خوفاً . (٢) عجم العود : عضه ليعرف أصلب هو أم رخو ، يقول : قد طالت صحبتى للزمان وقد جربنى وعرف صلابتى وصبرى على نوائبه .

(٨) لاو كُفيتَ شَرها. (تجيب بذلك من قال: أذهَبتِ الحُمّى عن المريض ؟)

(٩) قال تعالى : « أمدَّكم بما تعْلمُونَ ، أمدَّكم بأنعام وبنين وجنَّاتٍ وعيُون ».

(١٠) وقال أبو العتاهية :

قدْ يُدْرِكُ الرَّاقدُ الهادِى برقْدتِهِ ... وقدْ يخيبُ أَخُو الرَّوحاتِ والدُّلَج[١]

(١١) وقال الغزِّىّ يشكو الناس :

يصُدُّونَ فى البأْساءِ منْ غَير عِلَّة ... ويمتثلُونَ الأَمْرَ والنَّهْىَ فى الخفْض[٢]

(١٢) وقال أبو العلاء المعرى :

لا يُعْجبنَّكَ إقْبالٌ يُريكَ سناً ... إنَّ الخُمُودَ لعمْرى غايةُ الضَّرَم[٣]

(١٣) يقولون إنى أَحْمِل الضيْم عِنْدهم ... أَعُوذُ بربِّى أن يُضامَ نظيرى[٤]

(١٤) وقال تعالى : « يسومُونَكُم سُوءَ العذاب[٥] يُذَبِّحُونَ أبناءَكم » .

(١٥) وقال تعالى : « وما ينطِقُ عن الْهَوى إن هُو إلَّا وحْىٌ يُوحَى » .

الإجابة

(١) فصل بين الجملتين ، جملة : سواءٌ عليهم أأنذرتهم أم لم تنذرهم ، وجملة لا يؤمنون ، لأن بينهما كمال الاتصال ؛ إذ أن الثانية لا توكيد للأُولى .

(٢) وصل بين الجملتين لاتفاقهما خبرًا وتناسبهما فى المعنى . ولأنه لا يوجد هناك ما يقتضى الفصل .

(٣) فصلت جملة « قالوا » عن جملة « وأوجس منهم خيفة » لأن بينهما شِبْه كمال الاتصال ، إذ الثانية جواب لسوال يفهم من الأُولى ، كأنْ سائلًا سأل : فماذا قالوا له حين رأوه وقد داخله الخوف ؟ فأُجيب « قالوا لا تخف » .

---

(١) الروحات : جمع روحة اسم بمعنى الرواح وهو السير آخر النهار من راح يروح ضد غدا يغدو : والدلج : جمع دلجة من أدلج إذا سار من أول الليل : يقول قد يدرك القاعد مطالبه ويخيب المجد الساعى .

(٢) البأساء : الشدة ، والخفض : الدعة والنعيم .

(٣) السنا : ضوء البرق ، وخمود النار : سكون لهبها ، والضرم : اشتعال النار والتهابها .

(٤) الضيم : الذل .

(٥) يسومونكم سوء العذاب : يحملونكم إياه .

(٤) فصل بين الجملتين لأَن بينهما كمال الانقطاع ؛ إذ لا مناسبة فى المعنى بين الجملة الأُولى والجملة الثانية .

(٥) وصل بين الجمل الأَربع لاتفاقها إنشاءً مع وجود المناسبة ، ولأَنه لا يوجد هناكَ سببٌ يقتضى الفصل .

(٦) فصل بين الجملتين : «أَيها الناس» و «إنى وليت عليكم » لاختلافهما خبرا وإنشاءً فبينهما كمال الانقطاع ، ووصل بين الجملتين : «وليت عليكم» و «لست بخيركم» لأَنه أُريد إشراكهما فى الحكم الإعرابى إذ كلتاهما فى محل رفع ، وإذا كانت الواوِ للحال فلا وصل .

(٧) فصل بين شطرى البيت ؛ لأَن الثانى منهما جواب عن سؤال نشأَ من الأُولى ، فبينهما شبه كمال الاتصال .

(٨) وصل بين جملتى لا ، وكفيت ، لاختلافهما خبرًا وإنشاءً ، وفى الفَصْل إيهام خلاف المقصود ، فبينهما كمال الانقطاع مع الإيهام.

(٩) بين جملة «أَمدكم بما تَعْلمُون» وجملة «أَمدَّكم بأَنْعام وبَنِينَ وجنَّاتٍ وعُيُونٍ» كمال الاتصال ؛ فإن الثانية منهما بدل بعض من الأُولى ، إذ الأَنعام والبنون والجنات والعيون بعض ما يعلمون .

(١٠) ووصل أَبو العتاهية بين الجملتين لأَنهما اتفقتا فى الخبرية ، وبينهما مناسبة تامة ، وليس هناك ما يقتضى الفصل .

(١١) كذلك وصل الغَزِّى بين شطرى البيت لما تقدم .

(١٢) وفصل أَبو العلاء بين شطرى البيت لأَن بينهما كمال الانقطاع ؛ إذ الجملتان مختلفتان خبرًا وإنشاءً .

(١٣) بين جملة «يقولون إنى أَحمل الضيْمَ» وجملة «أَعوذ بربى أَن يضام نظيرى» شبه كمال الاتصال لأَن الثانية جواب عن سؤال نشأَ من الأُولى ، فكأَن الشاعر بعد أَن أَتى بالشطر الأَول من البيت أَحسَّ أَن سائلاً يقول له : «وهل ما يقولونه من أَنك تتحمل الضَّيم صحيح ؟» فأَجاب بالشطر الثانى .

(١٤) بين جملة : «يسُومُونكم سُوءَ العذاب» وجملة : «يُذبِّحُونَ أبْناءَكم» كمال الاتصال فإن الثانية منهما بدل بعض من الأُولى .

(١٥) فصل الله تعالى بين الجملتين فى الآية الكريمة لأن بينهما كمال الاتصال فإن الجملة الثانية بيان للأُولى .

تمرينات

(١)

بيِّن مواضع الوصل والفصل فيما يأتى ووضّح السبب فى كل مثال :

(١) قال بعض الحكماء : العبْدُ حُرٌّ إذا قنِع ، والحر عبد إذا طمِع .

(٢) وقال ابن الرومى :

قدْ يسْبقُ الْخَيْرَ طالبٌ عجل ... ويَرْهَقُ الشر مُمْعِناً هَرَبُه[1]

(٣) وقال أبو الطيب :

الرأْىُ قَبْل شَجاعةِ الشُّجْعان ... هُو أوَّلٌ وهْىَ المحلُّ الثَّانى

(٤) وخطب الحجاج فقال :

اللهُم أرنى الغىَّ غَيًّا فأَجْتَنِبَهُ ، وأرنى الهُدى هُدًى فأَتَّبِعَهُ ، ولا تَكِلْنى إلى نَفْسى فأَضِلَّ ضلالاً بعِيدًا

(٥) وقال الشريف الرضىُّ فى الرثاء

أعلِمْتَ مَنْ حملُوا علَى الأَعْوادِ ... أعلِمْت كَيْف خَباضِياءُ النادِى[2]

(٦) قال حسان بن ثابت الأَنْصارى :

أَصُونُ عِرْضى بمالى لا أُدنِّسُهُ ... لا بارِكَ الله بعْد العِرْضِ فى الْمال[3]

أَحْتَال لِلْمال إنْ أَوْدى فأَكْسِبُهُ ... ولسْت لِلعْرض إن أودى بمُحْتَال[4]

---

(١) يرهقه : يغشاه ويلحقه ، والممعن فى الشىء : المبعد ، يقول : كثيراً ما يفوت الخير من هو شديد الحرص فى طلبه ، ويقع فى الشر من يهرب منه .

(٢) الأعواد : جمع عود والمراد بها النعش ، وخبا الضياء : انطفأ .

(٣) العرض بالكسر : النفس وقيل الحسب وهو ما يعده الإنسان من مفاخر آبائه ، يقول : إنى أصون نفسى عما يدنسها ببذل ما أملكه من المال .

(٤) أودى : تلف ؛ يقول : إن المال إذا تلف استطعت العمل لكسبه ثانية ، أما العرض إذا تدنس فلا أستطيع تطهيره من الدنس الذى لحقه .

(٧) وقال النابغة الذبيانىُّ يرثى أخاه من أُمِّه :

حَسْب الْخَلِيلين نَأْىُ الأَرض بينَهُما هٰذا علَيها وهٰذا تَحتَها بالى[١]

(٨) وقال الطُّغْرائىُّ :

ياوارِدًا سُؤْرَ عيش كلُّه كدرٌ أَنفَقْتَ عُمْرَكَ فى أيَّامِك الأُول[٢]

(٩) لا الدمْعُ غَاضَ ولافؤادُكَ سالِى نزَل الحِمام عرينةَ الرِّئبال[٣]

(١٠) وقالت زينبُ بنتُ الطَّثَرِيَّة [٤] ترثى أخاها :

وقد كان يُرْوِى المشْرفِىَّ بكَفِّه ويبلغُ أقصى حَجْرةِ الحىِّ نائِلُه[٥]

(١١) وقال أبو الطيب .

أعزُّ مكانٍ فى الدُّنا سرْجُ سابحٍ وخيْرُ جليس فى الزمان كتاب [٦]

(١٢) العينُ عبْرى والنُّفُوس صوادِى ماتَ الحجا وقَضى جلالُ النَّادِى[٧]

(١٣) وقال رجل من بنى أسد فى الهجاء :

لَاتحسَبِ المجْدتَمْرًا أنت آكِله لَنْتَبلغَ المجْدحتى تَلْعقَ الصَّبِرا[٨]

(١٤) وقال عُمارةُ اليمنىّ[٩] :

وغَدْرُ الفَتى فى عهْدِه ووفائِهِ وغدْرُ المواضى فى نُبُوِّالمضارب[١٠]

---

(١) حسب الخليلين : أى كفاهما ، والنأى : البعد ، والبالى : الممزق الأعضاء ، يقول : كفانى وأخى حيلولة الأرض بيننا ، فأنا حى فوقها وهو بالى الجسم تحتها ، وهذا نهاية البعد .

(٢) سؤر العيش : بقيته . (٣) الحمام : الموت ، والعرينة : مأوى الأسد ، والرئبال : الأسد . (٤) أبوها الصمة ، والطثرية أمها ، ويزيد أخوها ، وهى شاعرة مجيدة من شواعر الإسلام ، ولها فى أخيها يزيد مراث جيدة . (٥) المشرفى : السيف ، الحجرة : الناحية ، النائل : العطاء ؛ تقول : إنه كان عظيم البأس كثير الجود . (٦) الدنا : جمع دنيا ، السابح : الفرس السريع الجرى ، يقول : سرج الفرس أعز مكان ؛ لأن صاحبه يجاهد عليه فى طلب المعالى ، والكتاب خير جليس لأنه مأمون الأذى .

(٧) عبرى : باكية ، الصوادى : جمع صادية أى ظمأى ، الحجا : العقل ، قضى : مات .

(٨) الصبر بكسر الباء : عصارة شجر مر ، يقول : لا تظن أن طريق المجد سهل يسلكه أمثالك ، كلا ، إن دون المجد صعاباً لا يتغلب عليها إلا ذوو الهمم العالية .

(٩) مؤرخ ثقة وشاعر فقيه أديب ، قدم مصر سنة ٥٥٠ هـ فأحسن الفاطميون إليه فأقام عندهم ومدحهم ولم يزل موالياً لهم حتى دالت دولتهم ، ثم تآمر هو وسبعة من المصريين على مقاومة السلطان صلاح الدين ، فصلبه معهم سنة ٥٦٩ هـ وله ديوان شعر كبير .

(١٠) المواضى : السيوف القاطعة ، نبو المضارب : عدم قطعها .

(١٥) قال تعالى فى قصة فرعون وردِّ موسى عليه السلام :

«قالَ فرْعَوْنُ وما ربُّ العَالَمينَ . قال ربُّ السمٰواتِ والأَرضِ وَمَا بيْنَهُما إن كُنتُمْ مُؤْمنين . قال لِمنْ حوْلَهُ أَلَا تَسْتَمِعُونَ . قَال ربُّكمْ وَربُّ آبائِكم الأَولين » .

(١٦) وقال تعالى : « وإذا تُتْلَى علَيْهِ آياتُنَا ولَّى مُسْتكبرًا كأَنْ لم يسْمعْهَا كأَنَّ فى أُذُنَيْه وقْرًا »[1] .

(٢)

(١) لِم يعِيبُ الناس العطف فى الشطر الثانى من أَبى تمام ؟

لا والذِى هُو عالِمٌ أَنَّ النوَى صَبِرٌ وأَنَّ أَبا الحُسيْن كريمُ

(٢) لِم يحْسُنُ أَن نقول : علِيٌّ خطيبٌ وسعيد شاعر ، ويقبح أَن نقول : على مريض وسعيد عالِم ؟

(٣)

(١) هات ثلاثة أَمثلة للجمل المفصول بينها لكمال الاتصال ، واستوف المواضع الثلاثة التى يظهر فيها هذا الكمال .

(٢) هات مثالين للجمل المفصول بينها لشبه كمال الاتصال .

(٣) « « « « لكمال الانقطاع .

(٤)

(١) مثل بمثالين لكل موضع من مواضع الوصل .

(٥)

انثُر البيتين الآتيين وبين سبب ما فيهما من فصل ووصل ، وهما لأَبى الطيب فى مدح سيف الدولة :

يا من يُقتِّلُ مَنْ أَراد بسيْفِهِ أَصْبحْتُ مِنْ قتْلاكَ بالإِحْسانِ

فإِذا رأَيْتُكَ حار دُونكَ ناظِرى وإِذَا مدحْتُك حار فيكَ لِسانِى

(١) الوقر : الثقل فى السمع .

الإيجازُ والإطنابُ والمُساواة

(١) الْمُسَاوَاة

الأَمثلة :

(١) قال تعالى : « وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ مِنْ خَيْرٍ تَجدُوهُ عِنْدَ اللهِ » .

(٢) وقال تعالى : « وَلَا يَحيقُ الْمَكْرُ السَّيِّئُ إلاَّ بِأَهْلِه[١] » .

(٣) وقال النابغة الذبيانيُّ :

فَإِنَّكَ كَاللَّيْلِ الَّذِى هُوَ مُدْرِكى
وإِنْ خِلْتُ أَنَّ الْمُنْتَأَى عَنْكَ وَاسِع[٢]

(٤) وقال طَرَفةُ بنُ العَبْد :

سَتُبْدِى لكَ الأَيامُ مَا كُنْتَ جَاهِلاً
وَيَأْتيكَ بالأَخْبَار مَنْ لَمْ تُزَوِّدِ[٣]

البحث :

يختارُ البليغُ للتعبير عما فى نفسه طريقاً من طرق ثلاث ؛ فهو تارة يُوجزُ ، وتارة يُسْهبُ ، وتارة يأْتى بالعبارة بَيْن بَيْن ، على حسب ما تقتضيه حالُ المخاطب ويدعو إليه موْطنُ الخطاب ، ونريد هنا أن نشرح هذه الطرق الثلاث ، وسنبدأ بالمساواة لأنها الأَصل المقيسُ عليه .

---

(١) يحيق : من قولهم حاق به الشىء إذا أحاط به .

(٢) المنتأى : موضع البعد وهو اسم مكان من انتأى عنه أى بعد : يخاطب النابغة الذبيانى النعمان بن المنذر ويشبهه فى حال سخطه بالليل فى أنه يعم كل موطن ، وذلك لسعة ملك النعمان وبسطة نفوذه فلا يفلت منه أحد . (٣) من لم تزود : أى من لم تعطه زاداً ، والزاد : طعام المسافر ، يقول : إن عشت فستعلمك الأيام ما لم تكن تعلم ، ويأتيك بالأخبار من لم توجهه فى طلبها .

تأمل الأمثلة المتقدمة تجد الألفاظ فيها بقدر المعانى ، وأنك لو حاولت أن تزيد فيها لفظاً لجاءت الزيادة فضلًا ، أو أردتَ إسْقاط كلمة لكان ذلك إخلالًا ، فالألفاظ فى كلّ مثال مساوية للمعانى ، ولذلك يُسَمّى أداءُ الكلام على هذا النحو **مساواة** .

القاعدة :

(٧٥) الْمُسَاوَاةُ أَنْ تكونَ الْمعَانى بقَدْر الأَلْفَاظِ ، وَالأَلْفَاظُ بقَدْر الْمَعانى ، لَا يَزيدُ بَعْضُهَا عَلَى بَعْضٍ .

(٢) الإيجَازُ

(١) قال تعالى : « أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ » .

(٢) وقال صَلَّى الله عليه وسَلَّم : « الضَّعِيفُ أَميرُ الرَّكْب »[١] .

(٣) وقيل لِأَعْرَابِىٍّ يَسوق مالاً[٢] كثيرًا : لِمَنْ هَذا الْمالُ ؟ فقال : لله فِى يَدِى .

* * *

(٤) قال تعالى : « وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا » .

(٥) وقال تعالى : « قٓ وَالْقُرْآن الْمَجيدِ ، بَلْ عَجبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ » .

(٦) وقال تعالى : فى حكاية موسى عليه السلام مع ابْنَتَىْ شُعَيْب : « فَسَقَى لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّى إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ

---

(١) الركب : جماعة المسافرين .

(٢) المال ، كل ما ملكته ، ويطلق عند الأعراب على الإبل .

إِنِّى لِمَا أَنْزَلْتَ إِلَىَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِير ، فَجَاءَتْه إِحْدَاهُمَا تَمشِى على اسْتِحْيَاءٍ قَالَتْ إِنَّ أَبى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيتَ لَنَا » .

البحث :

تأمل أمثلة الطائفة الأُولى تجد أن ألفاظها فى كل مثال على قِلَّتها جمعتْ معانى كثيرةً متزاحمة ، فالمثال الأول تضمَّن كلمتين اسْتَوْعبتا جميع الأشياء والشئون على وجْهِ الاستقصاء . حتى لقد رُوىَ أن ابن عُمَر رضى الله عنه قرأها فقال : منْ بقى له شىءٌ فَلْيطلبه . والمثال الثانى آية فى البلاغة والحسن ، فقد جمع من آداب السفر والعطف على الضعيف ما لا يسهل على البليغ أن يُعبِّر عنه إلَّا بالقول المُسْهَب الطويل . وكذلك الحال فى المثال الثالث . وهذا الأُسلوب من الكلام يسمى **إيجازاً** . ولما كان مدار الإيجاز هنا على اتساع الألفاظ القليلة للمعانى المتكاثرة والأغراض المتزاحمة ، لا على حذف بعض كلمات أو جمل ، سمّى **إيجاز قِصَر**

تأمل أمثلة الطائفة الثانية تجد أنها مُوجَزَةٌ أيضاً ، وإذا أردت أن تَعْرف سِرَّ الإيجاز فيها فانظر إلى المثال الأول تجد أنه قد حُذف منه كلمة ، إذ تقدير الكلام فيه وجاء أمر ربك ، وانظر إلى المثال الثانى تجد أنه حُذف منه جملة هى جواب القسم ، إذ تقدير الكلام «ق والقرآن المجيدِ » لَتُبْعَثُنَّ . أَمَّا المثال الثالث فالمحذوف فيه جُمل عدة ، ونَظم الكلام من غير حذف أن يقال : فَذَهبتَا إلى أبيهما ، وقصَّتا عليه ما كان من أمر موسى ، فأرسل إليه ، «فَجاءتْهُ إحْداهُما تَمْشى على اسْتِحْياء » .

ولما كان سبب الإيجاز فى هذه الأمثلة هو الحذف سُمى **إيجاز حذف** ويشترط فى هذا النوع من الإيجاز أن يقوم دليل على المحذوف ، وإلا كان الحذف ريئاً والكلام غيرَ مقبول .

القاعدة :

(٦٦) الْإِيجَازُ جَمْعُ الْمَعَانِى الْمُتَكاثِرَةِ تَحتَ اللَّفْظِ الْقَلِيل مَعَ الْإِبانةِ وَالْإِفْصَاح ، وَهُوَ نَوْعَان :

(ا) إِيجازُ قِصَرٍ ، وَيكونُ بتَضْمِين الْعِبارَاتِ الْقَصِيرَةِ مَعَانِىَ قَصِيرَةٍ مِنْ غَيْر حَذْفٍ .

(ب) إِيجَازُ حَذْف ، ويَكونُ بحَذْفِ كلِمَةٍ[1] أَوْجُمْلَة أَوْ أَكْثرَ مَعَ قَرِينَةٍ تُعَيِّن الْمَحْذُوفَ .

نَمُوذَجٌ

لبيان نوع الإيجاز فى العبارات الآتية :

(١) قال تعالى : « أُولئكَ لَهُمُ الأَمْن » .

(٢) وقال تعالى : « تاللهِ تَفتأُ تَذْكُرُ يُوسُف » .

(٣) وقال تعالى : « أَخْرج مِنها ماءَها ومرْعاها » .

(٤) وقال تعالى : « فَأَمَّا الذينَ اسْودَّتْ وُجُوهُهُمْ أَكَفَرْتُمْ بعْد إِيمانِكم » .

(٥) وقال تعالى : « ولوْ أَنَّ قُرْآناً سُيِّرت بهِ الجبالُ ، أَو قُطِّعتْ بهِ الأَرضُ ، أَو كُلِّم بهِ الموْتى ، بلْ لِلهِ الأَمْرُ جميعاً » .

(٦) وقال أَبو الطيب :

أَتى الزَّمانَ بنُوهُ فى شَبيبتِهِ فَسرَّهمْ وأَتيْناهُ على الهَرَمِ[2]

(٧) أَكلت فاكهة وماءً .

---

(١) الكلمة المحذوفة إما حرف ، وإما فعل ، وإما اسم ، والاسم المحذوف قد يكون مضافاً ، أو موصوفاً ، أو صفة .

(٢) يقول : إن بنى الزمان من الأمم السالفة جاءوا فى حداثة الدهر فسرهم ، ونحن أتيناه وقد هرم فلم يبق عنده ما يسرنا به .

الإجابة

(١) فى الآية إيجاز قِصَر ؛ لأن كلمة «الأمن» يدخل تحتها كلُّ أمر محبوب ، فقد انْتَفَى بها أن يخافوا فقرًا ، أو موتاً ، أو جوْرًا ، أو زوال نعمة ، أو غير ذلك من أصناف المكاره .

(٢) فى الآية إيجاز حذف ، لأن المعنى «تالله لا تفتأُ تذكر يوسف» فحذِف حرف النفى .

(٣) فى الآية إيجاز قصر ؛ فقد دل الله سبحانه بكلمتين على جميع ما أخرجه من الأرض قوتاً ومتاعاً للناس من العُشب والشجر والحطب واللِّباس والنار والماء .

(٤) فى الآية إيجاز حذف ، فقد حُذِف جوابُ أمَّا ، وأصل الكلام «فيقال لهم أكَفَرْتُمْ بعْد إيمانِكم» .

(٥) فى الآية إيجاز بحذف جواب لو ، إذ تقدير الكلام لكان هذا القرآن.

(٦) فى البيت إيجاز بحذف جملة : والتقدير وأتيناه على الهَرم فساءَنا .

(٧) فى العبارة إيجاز بحذف جملة ، إذ التقدير وشَربْت ماءً .

تمرينات

(١)

بين نوع الإيجاز فيما يأْتى ووضح السبب :

(١) قال تعالى : « وما كانَ معهُ مِنْ إلٰهٍ ، إذًا لذَهب كُلُّ إلٰهٍ بِما خلَق ولَعَلَا بعْضُهُمْ على بعض » .

(٢) وقال تعالى : « خُذِ العفْوَ وأْمُرْ بالعُرْفِ وأَعْرض عن الْجاهِلينَ »[1] .

(٣) وقال عليه الصلاة والسلام . « إن من البيان لَسِحْرًا » .

(٤) وقال تعالى فى وصف الجنة : « فيها ما تَشْتَهيهِ الأَنْفُسُ وتلَذُّ الْأَعْيُنُ ».

---

(١) خذ العفو : أى خذ الميسور من أخلاق الرجال ولا تستقص عليهم .

(٥) وقال تعالى : « ولَوْ تَرى إذْ فَزِعُوا فَلا فَوْتَ »[١] .

(٦) وقال تعالى : « وإنْ يُكذِّبُوك فقدْ كُذِّبتْ رُسُلٌ مِنْ قبْلِك » .

(٧) وقال صلى الله عليه وسلم : « الطَّمعُ فقر واليأْسُ غِنًى » .

(٨) وقال على كرم الله وجهه : « آلة الرياسة سعةُ الصدرِ » .

(٩) ويُنْسبُ للسَّموْءَل :

وإنْ هُو لَمْ يحْمِلْ علَى النَّفْسِ ضَيْمَها فلَيْسَ إلى حُسْنِ الثنَاءِ سبيلُ[٢]

(١٠) وقال تعالى فى وصف انتهاء حادثة الطوفان :

« وقِيلَ يا أَرْضُ ابْلعى ماءَك ، ويا سماءُ أَقْلِعى وغِيضَ الْماءُ ، وقُضِيَ الأَمْرُ ، واسْتَوتْ على الْجودِىِّ ، وقيل بُعْدًا لِلْقوْمِ الظَّالِمِين »[٣] .

(٢)

بيِّن جمال الإيجاز فيما يأْتى واذكر من أى نوع هو :

(١) كتب طاهرُ بن الحسين إلى المأْمون وكان واليَهُ على عُمَّاله بعد هزْمه عسْكَرَ على بن عيسى بن ماهان[٤] وقتْله إياه :

كتابى إلى أَمير المومنين ، ورأْسُ على بن عيسى بن ماهان بين يدَى ، وخَاتمُهُ فى يدِى ، وعسْكَرُهُ مُصرَّفٌ تحت أَمرى والسلام .

(٢) وخطب زيادٌ[٥] فقال :

أَيها الناسُ لا يمْنعَنَّكُم سوءُ ما تعلمون عنَّا أَن تَنْتَفِعُوا بأَحْسنِ ما تسمعون مِنَّا .

---

(١) الخطاب للنبى صلى الله عليه وسلم . يقول له : لو ترى حال الكفار عند الموت لرأيتها مزعجة . ومعنى قوله فلا فوت : فلا مهرب لهم من العذاب . (٢) يقول : إذا كان المرء لا يصبر النفس على مكارهها لم يكن هناك سبيل إلى اكتسابه الحمد . (٣) أقلعى : كفى عن المطر ، وغيض الماء : نضب ، والجودى : جبل بأرض الجزيرة استوت عليه سفنية نوح عليه السلام عند انتهاء الطوفان . (٤) على بن عيسى بن ماهان من كبار القادة فى عصر الرشيد والأمين ، وهو الذى حرض الأمين على خلع المأمون من ولاية العهد ، وسيره الأمين لقتال المأمون بجيش كبير فقتله طاهر بن الحسين قائد جيش المأمون سنة ١٩٥ هـ . (٥) أمير خطيب مصقع ، وهو من القادة الفاتحين ، والولاة الدهاة ، أسلم فى عهد أبى بكر رضى الله عنه ، ثم ألحقه معاوية بنسبه فكان عضده الأقوى ، وولاه البصرة والكوفة وسائر العراق ، وتوفى سنة ٥٣ هـ .

(٣)

بين ما فى التوقيعات[١] الآتية من جمال الإيجاز :

(١)وقَّع أبو جعفر المنصورُ فى شكوى قوم من عاملهم :
كما تكونوا يُؤَمَّرْ عليكم [٢] .

(٢)وكتب إليه صاحبُ مِصْر بنُقْصان النيل فوقَّع :
طَهِّرْ عسكرك من الفساد يعْطِكَ النيلُ القياد[٣] .

(٣)ووقع على كتاب لعامله على حِمص وقد كثُر فيه الخطأ :
اسْتبْدِل بكاتبك ، وإلا اسْتُبْدِل بك[٤] .

(٤)وكتب إليه صاحب الهند أنَّ جُنْدًا شغبوا عليه [٥] وكَسرُوا أقْفال بيت المال ، فوقَّع : لو عدلْت لَمْ يشْغبُوا ، ولو وفَيْت لَمْ ينْتهِبُوا[٦] .

(٥)ووقَّع هرون الرشيد إلى صاحب خُراسان : داوِ جُرْحك لا يتسع .

(٦)ووقَّع فى قصة البرامكة : أنْبَتَتْهُم الطاعة ، وحصدتْهُم المعصية .

(٧)وكتب إبراهيم بن المهْدِى فى كلام للمأمون : إن عفوت فبفضلك ، وإن أخذْتَ فبحقك . فوقَّع المأمون : القُدْرة تُذْهِبُ الحفيظَة [٧] .

(٨)ووقَّع زِياد بنُ أبيه فى قصة مُتظلم : كُفِيت .

(٩)ووقَّع جعفر بن يحيى[٨] لعامل كَثُرَتِ الشكوى منه :
كثُر شاكوك ، وقلَّ شاكرُوك ، فإمَّا عدلْت ، وإمَّا اعْتَزَلْت .

(١٠)ووقع فى قصة محبوس : الْعدْلُ أوقعه ، والتوبة تُطلِقه .

---

(١) التوقيع : رأى الحاكم يكتبه على ما يعرض عليه من شئون الدولة .

(٢) أمره عليهم : جعله أميراً . (٣) القياد : حبل يقاد به . (٤) أى اتخذ مكان كاتبك كاتباً آخر . وإلا أقيم مكانك عامل آخر . (٥) الشغب : تهييج الشر .

(٦) الانتهاب : النهب والأخذ . (٧) الحفيظة : الحمية والغضب .

(٨) هو أحد مشهورى البرامكة ومقدميهم ، ولد فى بغداد ونشأ بها ، ثم استوزره هرون الرشيد وألقى إليه مقاليد الدولة . فانقادت له الأمور ، وما زال كذلك حتى غضب الرشيد على البرامكة فقتله فى جملتهم سنة ١٧٨ هـ وهو أحد الموصوفين بفصاحة المنطق وبلاغة القول وكرم اليد والنفس .

(٤)

اقرأ الحكاية الآتية وبين وجه الإيجاز ونوعه فيما يعرض فيها من أمثال :

كان لرجل من الأعراب اسمه ضَبَّةُ ابنان . يقال لأحدهما سعْد وللآخر سُعيْد ، فنَفَرتْ إبل لضبة فتفرق ابناه فى طلبها ، فوجدها سعد فردها ، ومضى سُعيْد فى طلبها ، فلقيه الحارث بن كعْب ، وكان على الغلام بُرْدان ؛ فسأله الحارث إياهما فأبى عليه فقتله وأخذ برديه ؛ فكان ضبَّة إذا أمسى ورأى تحت الليل سوادًا قال : أسعد أم سُعيْد ؟ فذهب قوله مثلًا يُضرب فى النجاح والخيبة ، ثم مكث ضبة بعد ذلك ما شاء الله أن يمكث ، ثم إنه حج فوافى عُكاظَ فلقى بها الحارث بن كعب ، ورأى عليه بُرْدى ابنه سُعيْد ، فعرفهما ، فقال له : هل أنت مخبرى ما هذان البردان اللذان عليك ؟ قال لقيت غلاماً وهما عليه فسألته إياهما فأبى علىّ فقتلته وأخذتهما ، فقال ضبة : بسيفك هذا ؟ قال : نعم ، قال : أرنيه فإنى أظنه صارماً ؛ فأعطاه الحارث سيفه ، فلما أخذه هزَّه وقال : الحديثُ ذو شُجُون[1] ثم ضربه به فقتله ، فقيل له يا ضَبة : أفى الشهر الحرام ؟ فقال : سبق السيفُ العذل[2] . فهؤلاء أوَّل من سارت عنه هذه الأمثال الثلاثة .

(٥)

(١) هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز القِصَر وبين وجه الإيجاز فى كل منها .

(٢) هاتِ ثلاثة أمثلة لإيجاز الحذف . بحيث يكون المحذوف فى المثال الأول كلمة وفى الثانى جملة ، وفى الثالث أكثر من جملة ، وبين المحذوف فى كل مثال .

(٦)

بيِّن ما فى قول أبى تمام فى المديح من بلاغة وإيجاز :

ولوْ صوَّرْتَ نَفْسك لم تَزِدْهـا ... علَى ما فيكَ من كَرَم الطباعِ

---

(١) أى ذو طرق ، الواحد شجن ، يضرب هذا المثل فى الحديث يتذكر به غيره .

(٢) العذل : الملامة .

(٣) الإطناب

البحث :

(١) قال تعالى : « تَنَزَّلُ ٱلْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ فِيهَا »[١] .

* * *

(٢) وقال تعالى: « رَبِّ ٱغفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَاتِ » .

(٣) وقال : « وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ ٱلْأَمْرَ أَنَّ دَابِرَ هَؤُلَاءِ مَقْطُوعٌ مُصْبِحِينَ » .

* * *

(٤) وقال عنترة بن شداد فى بعض روايات معلقته :

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالرِّماحُ كأَنَّها أَشْطَانُ بِئْرٍ فى لَبَانِ ٱلْأَدْهَمِ[٢]

يَدْعُونَ عَنْتَرَ وَالسُّيُوفُ كأَنَّها لَمْعُ الْبَوَارِقِ فى سَحَابٍ مُظْلِمِ

* * *

(٥) وقال النابغة الْجَعْدِى[٣] :

أَلا زَعَمَتْ بَنُو سَعْدٍ بِأَنِّى ـ أَلَا كَذَبُوا ـ كَبِيرُ السِّنِّ فانِى

* * *

---

(١) الروح : جبريل عليه السلام .

(٢) أشطان البئر : حباله ، ولبان الأدهم : صدر الفرس .

(٣) هو حسان بن قيس الجعدى ، شاعر قديم معمر أدرك الجاهلية والإسلام ، وأسلم وحسن إسلامه وأنشد النبى صلى الله عليه وسلم فأعجب به وقال له : لا يفضض الله فاك .

(٦) وقال الحُطَيئة :

تَزُورُ فَتًى يُعْطِى على الْحَمْدِ مَالَه
وَمَنْ يُعْطِ أَثْمان الْمَحَامِدِ يُحْمَدِ

(٧) وقال ابنُ نُباتة السَّعدىّ :

لَمْ يُبْقِ جُودُك لِى شَيْئًا أُؤَمِّلُهُ
تَرَكْتَنى أَصْحَبُ الدُّنْيَا بلا أَمَل

* * *

(٨) وقال ابن المعتز يصف فرساً :

صَبَبْنَا عَلَيْهَا ظَالِمِينَ سِيَاطَنَا فَطَارَتْ بها أَيْدٍ سِرَاعٌ وأَرْجُل

البحث :

عرفتَ فيما سبق معنى الإيجاز ؛ ونريد هنا أن نشرح لك نوعاً آخر من الأساليب يقابله ويُضادُّه فتزيد فيه الألفاظ على المعانى لغرض بلاغىّ .

تأمل المثال الأول تجد لفظ « الروح » فيه زائدًا ، لأن معناه داخل فى عموم اللفظ المذكور قبله وهو الملائكة ، وانظر فى المثال الثانى تجد أن لفظ « لى ولوالدىّ » زائد أيضاً ، لدخول معناه فى عموم المؤمنين والمؤمنات ، وكذلك يشتمل كل مثال من الأمثلة الباقية على زيادة لفظية ستعرفها فيما يأتى ، وسترى أيضاً أنَّ هذه الزيادة لم تجئ عبثاً ، وإنما جاءت لِلطيفة من اللطائف البلاغيَّة التى تزيد قيمة الكلام وترفع من معانيه ، وأداءُ الكلام على هذا الوجه يُسمَّى **إطناباً** .

ارجع إلى الأمثلة وابحث فيها واحدًا واحدًا تجد طرق الإطناب فيها

مختلفة : فطريقه فى المثال الأول **ذكر الخاص بعد العام** ، فقد خَصَّ الله سبحانه وتعالى الروح بالذِّكر وهو جبريل مع أنه داخل فى عموم الملائكة تكريماً له وتعظيماً لشأنه كأنه جنس آخر ، ففائدة الزيادة هنا التنويه بشأن الخاص.

وطريقه فى المثال الثانى **ذكر العام بعد الخاص** ، فقد ذكر الله سبحانه المؤمنين والمؤمنات وهما لفظان عامان يدخل فى عمومهما من ذُكِر قبل ذلك ، والغرض من هذه الزيادة إفادة الشمول مع العناية بالخاص لذكره مرتين ، مرة وحده ، ومرة مندرجاً تحت العام .

وطريقه فى المثال الثالث **الإيضاح بعد الإبهام** فإن قوله تعالى : « أن دابِرَ هؤُلاءِ مقْطُوعٌ مُصْبحِين » إيضاح للإبهام الذى تضمنه لفظ « الأمر » وذلك لزيادة تقرير المعنى فى ذهن السامع بذكره مرتين ، مرة على طريق الإجمال والإبهام ، ومرة على طريق الإيضاح والتفصيل .

وطريقه فى بيتى عنترة **التكرار** لتقرير المعنى فى نفس السامع وتثبيته ، ويظهر هذا الغرض فى الخطابة ، وفى موطن الفخر والمدح والإرشاد والإنذار، وقد يكون التكرار لدواع أُخرى ، منها التحسر كما فى قول الحسين بن مطير [1] يرثى معْن بن زائدة :

فيا قَبْرَ معْنٍ أَنْتَ أَوَّلُ حُفْرةٍ ... مِنَ الأَرْضِ خُطَّتْ لِلسَّماحَةِ موْضِعا [2]

ويا قبرَ معن كَيْف واريْتَ جُودهُ ... وقَدْ كانَ مِنْهُ البَرُّ والبحرُ مترْعا

ومنها طول الفصل كما فى قول الشاعر :

لقدْ علِم الحىُّ اليمانون أَننى ... إذا قلْتُ أَمَّا بعْدُ أَنِّى خَطِيبُهَا [3]

---

(١) شاعر عاش فى الدولتين الأموية والعباسية ، وله مدائح فى رجالها ، وكان من أحسن أهل البادية زياً وكلاماً ، توفى سنة ١٦٩ هـ بعد معن زائدة وله رثاء فيه .

(٢) خطت للسماحة موضعاً : أى اتخذت لتكون موضعاً للكرم والجود .

(٣) اليمانون : المنسوبون إلى اليمن .

وطريقه فى المثال الخامس **الاعتراض** ، وهو أن يوتى فى أثناء الكلام أو بين كلامين متصلين فى المعنى بجملة أو أكثر لا محل لها من الإعراب لغَرض يقصِدُ إليه البليغ ، فجملة « ألا كذبوا » قد جاءت فى بيت النابغة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى التنبيه على كذب من رماه بالكِبَر ، وقد يكون من أغراض الاعتراض الإسراع إلى التنزيه ، نحو : إن الله – تبارك وتعالى – لطيف بعباده ، وقد يكون للدعاء نحو إنى – وقاك الله – مريض .

وطريقه فى المثالين السادس والسابع **التذييل** ، وهو تعقيب الجملة بجملة أخرى تشتمل على معناها توكيدًا لها ، فإن المعنى فى كلا البيتين قد تمَّ فى الشطر الأول ، ثم ذُيِّل بالشطر الثانى للتوكيد . وإذا تأملت التذييل فى المثالين وجدتَ بينهما بعض الخلاف . وذلك أن التذييل فى المثال الأول مستقلٌّ بمعناه لا يتوقف فهمه على فهم ما قبله ، ويقال له إنه **جار مجرى المثل** ، أما فى المثال الثانى فهو غير مستقل بمعناه إذ لا يفهم الغرضُ منه إلا بمعونة ما قبله ، ويقال لهذا النوع إنه **غير جار مجرى المثل** .

تأمل المثل الأخير تجد أننا لو أسقطنا منه كلمة « ظالمين » لتوهَّم السامع أن فرس ابن المعتز كانت بليدة تستحق الضرب ، وهذا خلاف المقصود ، وتسمَّى هذه الزيادة فى البيت **احتراساً** ، وكذلك كل زيادة تجىءُ لدفع ما يُوهِمُهُ الكلام مما ليس مقصودًا .

القَاعدة :

(٦٧) الإِطْنابُ زيادَةُ اللَّفْظِ عَلَى الْمَعْنَى لِفائِدَةٍ [1] ، وَيكُونُ بأُمُورٍ عِدة مِنْها :

---

(١) فإذا لم تكن فى الزيادة فائدة سميت « تطويلا » إن كانت الزيادة غير متعينة ، « وحشواً » إن كانت متعينة ، فالتطويل كما فى قول عنترة بن شداد :

حييت من طلل تقادم عهـده أقوى وأقفـر بعد أم الهيـثم

والحشو كما فى قول زهير بن أبى سلمى :

وأعلم علم اليوم والأمس قبلـه ولكننى عن علم ما فى غد عمى

(ا) ذِكْرُ الْخَاصِّ بَعْدَ الْعامِّ لِلتَّنْبيهِ عَلَى فَضْلِ الْخَاصِّ .

(ب) ذِكْرُ العَامِّ بَعدَ الْخَاصِّ لإفادَةِ العُمُومِ مَعَ الْعِنايةِ بشَأْنِ الخاصِّ .

(حـ) الإيضاحُ بَعْدَ الإبهامِ ، لِتَقْريرِ الْمَعْنى فى ذِهْنِ السَّامِعِ .

(د) التَّكْرَارُ لِدَاعٍ : كتَمْكِينِ الْمَعْنَى من النفس ، وكالتَّحَسُّر ، وكَطُولِ الْفَصْلِ .

(هـ) الاعْتِرَاضُ ، وهُو أَنْ يُؤْتَى فى أَثْناءِ الكلامِ أَوْ بَيْنَ كلاميْنِ مُتَّصِلَيْن فى الْمَعْنى بجُمْلَةٍ أَوْ أَكْثر لا مَحَلَّ لها منَ الإعْراب[1] .

(و) التَّذْييلُ ، وهُوَ تَعقيبُ الْجُمْلَةِ بجمْلَةٍ أُخْرَى تَشْتَمِلُ على مَعْنَاهَا تَوْكيدًا لها ، وهُوَ قِسْمانِ :

(١) جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إنِ اسْتَقَلَّ مَعْناهُ واسْتَغْنَى عَمَّا قَبْلَهُ .

(٢) غَيْرُ جَارٍ مَجْرَى الْمَثَلِ إنْ لَمْ يَسْتَغن عَمّا قَبْلَهُ .

(ز) الاِحتراسُ ، وَيَكُونُ حِينَما يَأْتى المتكلِّمُ بمَعْنى يُمْكِنُ أَنْ يَدْخُلَ عَلَيْهِ فيه لَوْمٌ ، فَيَفْطِنُ لذلكَ ويأْتى بما يُخَلِّصُهُ منْهُ .

نَمُوذَجٌ

بين نوع الإطناب فيما يأْتى :

(١) قال تعالى : « أَفَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَن يأْتيَهُمْ بأْسُنا بياتاً وهُمْ نَائِمُون ،

---

(١) ويجب أن يكون للبليغ فى الاعتراض غرض يرمى إليه غير دفع الإيهام ، فإن كان الغرض دفع الإيهام كان احتراساً .

أَوَأَمِنَ أَهْلُ القُرَى أَنْ يـأْتِيهُمْ بـأْسُنَا ضُحًى وهُمْ يلْعبُون ، أَفـأَمِنُوا مكْرَ اللهِ فَلَا يـأْمنُ مكْرَ اللهِ إِلَّا القَوْمُ الخَاسِرُون » .

(٢) وقال تعالى : « وما جعلْنا لِبشَر مِنْ قَبْلِك الخُلْد أَفإِن مِتَّ فَهُمُ الخَالِدُون ، كلُّ نَفسٍ ذَائِقةُ الْموْتِ » .

(٣) وقال أبو الطيب :

إِنِّى أُصاحِبُ حِلمى وهْوَ بى كَرمٌ ولَا أُصاحِبُ حِلمى وهْو بى جُبن

(٤) وقال النابغة الجعْدِىُّ يهجو :

لَوَ انَّ الباخِلين وأَنْتَ مِنْهُمْ رأَوْك تَعلَّموا مِنْك المِطالَا

(٥) وقالت أعرابية لرجل : كَبتَ اللهُ كُل عدُو لَك إِلَّا نَفْسَك .

(٦) وقال تعالى : « أَمدَّكُمْ بما تَعْلَمُونَ أَمدَّكُمْ بـأَنْعام وبنين » .

الإجابة

(١) فى الآية إطناب بالتكرار فى معْرض الإنذار لتقرير المعنى فى نفوس السامعين.

(٢) فى الآية إطناب بالتذييل فى موضعين : أولهما قوله تعالى : « أَفإِن متّ فهم الخالدون » ، وهذا تذييل لم يجر مجرى المثل ، والثانى قوله تعالى : « كل نفس ذائقة الموت » وهو جار مَجْرَى المثل .

(٣) فى البيت إطناب بالاحتراس فى موضعين : أولهما فى الشطر الأول بذكر وهو بى كرم ، وثانيهما فى الشطر الثانى بذكر وهو بى جُبن .

(٤) فى البيت إطناب بالاعتراض . فقد جاءت جملة : « وأنت منهم » معترضة بين اسم إن وخبرها للإسراع إلى ذم المخاطَب .

(٥) هنا إطناب بالاحتراس ، لأَن نفس الإنسان تجرى مجْرى العدوِّ له ، فإنها تدعوه إلى ما يُوبِقهُ .

(٦) فى الآية إطناب بالإيضاح بعد الإبهام فإن ذكر الأَنْعامِ والبنين توضيحٌ لما أُبْهم قبل ذلك فى قوله : « بما تعلمون » .

تمرينات

(١)

وضح الغرض من التكرار فى كل مثل من الأمثلة الآتية :

(١) قال بعض شعراء الحماسة :

إلَى معْدِن العِزِّ المُؤَثَّل والنَّدى هُناك هناك الْفضْلُ والخُلُقُ الجزْل[١]

(٢) وقالَتْ أَعْرابيَّةٌ تَرْثِى ولَدَيْها :

يا منْ أَحسَّ بُنيَّىَّ اللذين هُمـا كالدُّرَّتَيْن تَشظَّى عنْهُما الصَّدف[٢]

يا منْ أَحسَّ بُنَيَّىَّ اللذين هُما سمْعِى وطَرْفِى فَطَرْ فِى اليوم مُخْتَطَفُ[٣]

(٣) وقال عمرُو بن كلثوم[٤] فى معلقته :

بأَىِّ مشِيئةٍ عمْرو بْن هِنْد[٥] نكونُ لِقَيْلِكمْ فِيها قِطينَا[٦]

بأَىِّ مشيئة عمْرو بن هند تُطيعُ بنا الوُشاةَ وتَزْدرينا[٧]

(٤) قال تعالى : « فإنَّ مع العُسْر يُسْرًا ، إنَّ مع العُسْر يُسْرًا » .

(٢)

بيِّن مواطن الاعتراض وفائدتَه فى الأمثلة الآتية :

(١) قال العباس بن الأحنف :

إنْ تم ذَا الهجْرُ يا ظَلُومُ ولا تم فما لِى فى العيْشِ مِنْ أَرَبِ[٨]

---

(١) معدن العز : موطنه ومركزه ، والمؤثل : المؤصل والمعظم ، والخلق الجزل : الطبع القوى الكريم . (٢) تشظى الصدف : تطاير شظايا ، والشظايا جمع شظية : وهى الفلقة من العصا ونحوها . (٣) الطرف : البصر . (٤) شاعر جاهلى وهو من فحول الشعراء فى الجاهلية ومن فرسانهم وأشرافهم ، وهو صاحب المعلقة التى أولها « ألا هبى بصحنك فاصبحينا » .

(٥) هو ملك الحيرة وكان جباراً عنيداً لا يرى فى الناس من يدانيه فى الشرف والمنزلة ، وقد أراد أن يستذل عمرو بن كلثوم باتخاذ أمه وصيفة لأمه ، فثارت الحمية فى قلب عمرو بن كلثوم فجرد سيفاً وضرب الملك فقتله . (٦) القيل : الملك دون الملك الأعظم وجمعه أقيال ، والقطين : الخدم ، يقول : كيف تطمع أن نكون خدماً لمن وليت علينا من الأمراء على ما تعلم من عزنا .

(٧) يقول : كيف تطيع الوشاة فينا وتحتقرنا على ما تعلم من قلة صبرنا على احتمال الضيم .

(٨) ظلوم : اسم امرأة .

(٢) وقال أبو الفتح البُسْتىّ[١] :

إذا حَمِدَ الكريمُ صباحَ يوْمٍ وأنّى ذَاكَ لَمْ يحْمَدْ مساءَهْ[٢]

(٣) وقال أبو خراش الهُذَلىُّ[٣] يذكر أخاه عُرْوة :

تَقُولُ أَراهُ بعْدَ عُرْوةَ لَاهِياً وذَلِكَ رُزْءٌ لَو علِمْتَ جلِيلُ
فلَا تَحْسَبِي أنِّى تَنَاسيْتُ عهْدَهُ ولَكنَّ صَبْرِى يا أُمَيْمُ جميلُ[٤]

(٤) واعْلَم فعِلْمُ الْمرْءِ ينفَعُهُ أَنْ سوْف يأْتِى كلُّ ما قُدِرا[٥]

(٣)

بيِّن مواطن التذييل ونوعه فى كل مثال من الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو تمام يُعزى الخليفة فى ابنه :

تَعزَّ أَميرَ المومنـــين فإنَّهُ لِما قَدْ ترى يُغْذى الصبىُّ ويُولَدُ[٦]
هَل ابْنُك إلَّا من سُلَالَةِ آدمٍ لِكلٍّ علَى حوْضِ المنِيَّةِ موْرِدُ

(٢) وقال إبراهيم بن المهدى فى رثاء ابنه :

تَبدَّلَ دارًا غَيْرَ دارى وجيرةً سِوايَ وأَحْداثُ الزَّمان تَنُوب

(٣) فإن أَكُ مقْتُولًا فكُنْ أَنْتَ قاتِلى فبعْضُ منَايا القَوْمِ أَكْرمُ مِنْ بعْض

(٤) قال تعالى : « ذلِكَ جزيْناهُمْ بما كفَرُوا وهلْ نجازِى إلا الكَفُور » .

---

(١) شاعر عصره وكاتبه ، نسب إلى بوست (قرب سجستان) وقد ولى كتابة ديوانها ، ثم انتقل إلى بخارى فمات فيها سنة ٤٠٠ هـ ، وله ديوان شعر .

(٢) يقول : إن الدهر قلب لا يدوم على حال ، فإذا سر إنساناً فى صباح يومه أساء إليه فى مسائه ، ومن سره زمن ساءته أزمان .

(٣) هو خويلد بن مرة أحد بنى هذيل ، وهو من فرسان العرب وفتاكهم ، شاعر مخضرم ، أسلم وهو شيخ كبير يوم حنين ، وكان عداء ، وخراش ابنه ، وعروة أخوه .

(٤) الصبر الجميل : هو الذى لا شكوى فيه .

(٥) أن فى البيت مخففة من الثقيلة ، وضمير الشأن محذوف ، يقول : إن المقدور آت لا محالة وإن تأخر ، وفى هذا تسلية وتسهيل للأمر .

(٦) تعز : تصبر ، يقول : تصبر يا أمير المؤمنين ، فإن الموت سبيل كل حى ، والصبى لا يولد ولا يغذى إلا استعداداً للموت .

(٤)

بين مواطن الاحتراس وسبب الإتيان به فى الأمثلة الآتية :

(١) قال أبو الحسين الجزار[١] فى المديح :

ويَهْتَزُّ لِلْجدْوَى إذَا ما مدَحْتُه كما اهتَزَّ حاشَا وصْفَه شاربُ الخمر

(٢) وقال آخر :

وما بى إلى ماءٍ سِوى النِّيلِ غُلَّةٌ ولوْ أنهُ أَسْتَغْفِرُ الله زَمْزَمُ

(٣) وقال عنترة :

يُخبرْكِ منْ شهد الوقيعةَ أنَّنى أَغْشَى الْوغَى وأَعِفُّ عِنْد المغْنَم[٢]

(٤) وقال كعْب بن سعيد الْغَنَوى :

حلِيمٌ إذَا ما الحْلمُ زَيَّن أَهلَهُ مع الحِلْم فِى عيْن الرِّجال مهيبُ[٣]

(٥)

بيِّن مواقع الإطناب والغرض منه فيما يأْتى :

(١) قال تعالى : « إنَّ اللهَ يأْمُرُ بالعدْل والإحْسان وإيتاءِ ذِى القُرْبى وينْهَى عن الفحْشَاءِ والمُنْكَر والبغْى » .

(٢) وقال أيضاً : « حافِظُوا علَى الصَّلَواتِ والصَّلاةِ الْوُسْطى » .

(٣) وقال الشاعر :

والسَّعْى فِى الرِّزْق والأَرْزَاقُ قَدْقُسِمتْ بغْىٌ أَلا إنَّ بغْىَ المرْءِ يصْرعُهُ

(٤) وقال تعالى : « وما أَدْراكَ ما يوْمُ الدِّين ثُم ما أَدْراكَ ما يومُ الدِّين » .

---

(١) شاعر مصرى رقيق ، تظهر فى شعره خفة الروح المصرية ، ولد سنة ٦٠١ هـ ومات سنة ٦٧٢ هـ .

(٢) الوقيعة : القتال ، والوغى فى الأصل : صوت المقاتلة فى الحرب ثم استعمل فى الحرب نفسها ، يقول : إنه يغشى الحرب شجاعة ، فإذا كانت الغنيمة كف عفة ؛ لأنه لا يقاتل لأجلها .

(٣) يقول : هو حليم فى المواطن التى يحمد فيها الحلم ، وهو مع حلمه مهيب فى أعين الرجال .

(٥) وقال تعالى : « وقَال الَّذِى آمنَ يا قَوْمِ اتَّبعونِ أَهْدِكُمْ سبيلَ الرشادِ ، يا قَومِ إنَّما هذِهِ الحياةُ الدُّنْيا متَاعٌ . وإنَّ الاخِرةَ هى دارُ الْقَرار » .

(٦) وقال تعالى : « اسلُك يدكَ فِى جيْبكَ تَخْرُجْ بيْضَاءَ مِنْ غَيْر سوءٍ » .

(٧) وقال الحماسى :

أَسِجْناً وقَيْدًا واشْتياقاً وغُرْبةً ... ونَأْىَ حبيبٍ ؟ إنَّ ذَا لَعَظِيمُ
وإنَّ امْرأً دامتْ مواثِيقُ عهْدِهِ ... علَى مِثْلِ هـذَا إنَّه لكَرِيمُ

(٨) وقال تعالى :

« فَوسْوسَ إليه الشَّيطانُ قَال يا آدمُ هلْ أَدُلُّكَ علَى شَجَرةِ الخُلْدِ » .

(٩) وقال إبراهيم بن المهدى فى رثاء ابنه :

وإنِّى وإنْ قُدِّمْتَ قَبْلِى لعالِمٌ ... بأَنِّى وإنْ أُخِّرْتُ مِنْكَ قريبُ

(١٠) قال تعالى : « ويجْعلُونَ لِلهِ البنَاتِ سُبْحانَهُ ولَهُمْ ما يشْتَهُون » .

(١١) وقال أوس بن حَجَر[1] :

ولَسْتُ بخابِئٍ أبدًا طعاماً ... حِذَارَ غَدٍ لِكلِّ غدٍ طَعـامُ

(١٢) وقال تعالى : « ولتكُنْ مِنْكُمْ أُمةٌ يدْعُون إلى الخَيْر ويـأْمُرُونَ بالمعْرُوف وينْهَوْنَ عَنِ المنْكَرِ » .

(١٣) وقال تعالى : « إنَّ مِنْ أَزْواجكمْ وأَوْلادِكُمْ عدُوًّا لَكُمْ فَاحْذَرُوهُمْ ، وإن تعْفُوا وتصْفَحُوا وتَغْفِرُوا فإن اللهَ غَفُورٌ رحيمٌ » .

(١٤) وقال تعالى : « وما أُبرِّئُ نَفْسِى إنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارةٌ بالسُّوءِ » .

(١٥) قال تعالى : « يا أَبتِ إنِّى رأَيْتُ أَحدَ عشَر كَوْكَباً والشَّمْس والقمر رأَيْتُهُمْ لِى ساجدِين » .

---

(١) من شعراء الجاهلية وفحولها يجيد فى شعره ما يريد ، وهو من الطبقة الثانية ، وعمر طويلا وكانت وفاته أول ظهور الإسلام .

(٦)

بيِّن ما تراه فى الأَبيات الآتية من العيوب البلاغية :

(١) قال أَبو نواس :

أَقمْنَا بهَا يوْماً ويوْماً وثالِثاً ... ويوْماً لَه يوْمُ الترحُّلِ خامِس[1]

(٢) وقال النابغة فى وصف دار :

تبيَّنْتُ آياتٍ لَها فَعرَفْتُها ... لِستَّة أَعْوامٍ وذَا العام سابعُ

(٣) وقال أَبو العتاهية :

ماتَ واللهِ سعيدُ بْنُ وهْب ... رحِم اللهُ سعِيدَ بْن وهْبِ

يا أَبا عُثْمان أَبْكَيْتَ عينى ... يا أَبا عُثمانَ أَوْجعْتَ قَلبى

(٧)

تدبر الكلام الموجز الآتى ثم ضعه فى أُسلوبين من إنشائك يكون فى أَحدهما مساوياً لمعناه ، وفى الآخر زائدًا على معناه :

أَمّا بعد فعِظِ الناس بفِعْلِكَ . وَاسْتَحْى من اللهِ بقَدْرِ قُربهِ منك . وخَفْه بقدر قدْرته عليك .

(٨)

لماذا كان كل مثال به فصل لكمال الاتصال ضرباً من الإطناب ؟ مثِّل بأَمثلة مختلفة ، وبيِّن نوع الإطناب فى كل مثال .

(١) هات مثالين للإطناب بذكر الخاص بعد العام ، وآخرين للإطناب بذكر العام بعد الخاص ، وبيِّن فائدة الزيادة التى تضمنها الكلام فى كل مثال .

(٣) هات مثالين للاعتراض ، وبيِّن فائدته فى المثالين .

---

(١) يريد أنهم أقاموا ثمانية أيام ، عد منها ثلاثة فى الشطر الأول ، ثم أضاف إليها خمسة فى الشطر الثانى ، لأنه يقول إننا أقمنا بعد الثلاثة الأيام الأولى يوماً له يوم الرحيل خامس ، أى خمسة أيام أخرى .

(٣) هات أربعة أمثلة للتكرار الحسن ، وبيِّن غرضك منه فى كل مثال ، واستوف أغراض التكرار التى عرفتها .

(٤) هات مثالين للتذييل الجارى مجرى المثل ، وآخرين للتذييل الذى لم يجر مجْرَى المثل .

(٥) هات مثالين للاحتراس .

(٩)

اشرح بَيْتَى المتنبى فى وصف شِعْب بَوَّان[١] ، وبيِّن نوع الإطناب فيهما :

ملاعِبُ جِنَّة لَوْ سار فيها ... سُلَيْمانٌ لسار بتَرْجُمانِ[٢]

طَبتْ فُرْسانَنَا والْخيْلَ حتى ... خشِيتُ وإنْ كَرُمْنَ مِنَ الْحِرانِ[٣]

أثر عِلمِ المعانى فى بَلاغة الكلام

نستطيع هنا بعد الدراسة السابقة أن نلخص لك مباحث علم المعانى فى أمرين اثنين :

الأول أنه يبيِّن لك وجوب مطابقة الكلام لحال السامعين والمواطن التى يقال فيها ، ويُريك أن القول لا يكون بليغاً كيفما كانت صورته حتى يلائم المقام الذى قيل فيه ، ويناسب حال السامع الذى أُلقى عليه ، وقديماً قال العرب : لكل مقام مقال .

فقد يؤكد الخبر أحياناً كما علمت ، وقد يُلقى بغير توكيد ، على حسب حال السامع مِنْ جَهْل بمضمون الخبر أو تردد أو إنكار . ومناهضة هذا الأصل بلا داع نُشوزٌ عما رُسم من قواعد البلاغة . انظر إلى قوله تعالى فى شأن رُسل عيسى عليه السلام حين بعثهم إلى أهل أنطاكية :

« واضْربْ لَهُمْ مَثَلاً أَصْحابَ الْقَرْيةِ إذْ جاءها المُرْسَلونَ ، إذْ أَرْسلْنَا

---

(١) شعب بوان : موضع عند شيراز ، كثير الشجر والمياه ويعد من جنان الدنيا .

(٢) الجنة : الجن ، جعل الشعب لغرابة مناظره كأنه منزل للجن ، ويقول : إن لغة أهله بعيدة عن الأفهام حتى لو أتاهم سليمان مع علمه بلغات الجن لاحتاج إلى من يترجم له .

(٣) طباه : دعاه واستمالة ، والحران فى الدابة : أن تقف مكانها فلا تبرح .

إليْهِمُ اثْنيْن فكذَّبُوهُما ، فَعزَّزْنَا بثالِث ، فَقَالُوا إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُون ، قالُوا ما أَنْتُمْ إلاَّ بشَرٌ مِثْلُنَا ، وما أَنْزلَ الرَّحْمٰنُ مِنْ شَيْءٍ إنْ أَنْتُمْ إلاَّ تَكْذِبُونَ ، قَالوا ربُّنَا يعْلَمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسلُون » .

فإن الرسل حين أَحسُّوا إنكارهم فى المرة الأُولى اكْتفوْا بتأْكيد الخبر «بإنَّ» . فقالوا : «إنَّا إلَيْكُمْ مُرْسَلُون» ، فلما تزايد إنكارهم وجحودُهم قالوا : «ربُّنا يعْلمُ إنَّا إلَيْكُمْ لَمُرْسَلونَ» ، فَأَكدوا بالقَسم وإنَّ واللام .

وقد تَخْفى هذه الدقائق على غير أَهل اللغة ، رُوِى أَن الكِنْدِىَّ[1] ركِب إلى أَبى العباس المبرِّد[2] وقال له : إنى لأَجد فى كلام العرب حشوًا !

فقال أَبو العباس : أَيْن وجدت ذلك ؟ فقال . وجدتهم يقولون : «عبد الله قائم» ثم يقولون : «إن عبدَ الله قائم» ثم يقولون : «إن عبد الله لقائم» فالأَلفاظ مكررة والمعنى واحد ؛ فقال أَبو العباس . بل المعانى مختلفة ، فالأَول إخبارٌ عن قيامه ، والثانى جواب عن سؤَال ، والثالث رَدٌّ على منكر .

كذلك يوجب علم المعانى أَن يخاطب كل إنسان على قدر استعداده فى الفهم ونصيبه من اللغة والأَدب فلا يُجيزُ أَن يخاطب العامىُّ بما يخاطبُ به الأَديب الْمُلِمُّ بلغة العرب وأَسرارها .

قال بعضهم لبشار بن بُرْدٍ : إنك لَتَجىءُ بالشىء الهجين المتفاوت ؛ قال : وما ذاك ؟ قال : بينما تثير النقْع وتخْلعُ القلوب بقولك :

إذَا ما غضِبْنَا غَضْبةً مُضَريةً هتَكْنَا حِجاب الشمس أَوتُمْطِرَ الدَّمَا

إذَا ما أَعرْنَا سيِّدًا مِنْ قَبيلَةٍ ذُرا مِنْبَرٍ صلَّى علينَا وسلَّما

---

(١) هو أبو يوسف يعقوب بن إسحق فيلسوف العرب كان معاصراً للمأمون والمعتصم والمتوكل ، وله عندهم منزلة سامية ، برع فى الطب والفلسفة والحساب والمنطق والهندسة وطبائع الأعداد وعلم النجوم ، نبغ وليس فى المسلمين فيلسوف غيره ، وحذا فى تأليفه حذو أرسطو .

(٢) هو شيخ أهل النحو والعربية ، وله التآليف النافعة فى الأدب ، وكان حسن المحاضرة مليح الأخبار كثير النوادر ، وتوفى سنة ٢٨٥ هـ .

نراك تقول :

ربابةُ ربَّة البيْتِ تصُبُّ الخلَّ فى الزَّيْتِ
لَهَا عشْرُ دجاجاتٍ وديكٌ حسنُ الصَّوْت

فقال بشار : لكلٍّ وجْهٌ وموضع ؛ فالقول الأول جدٌّ ، والثانى قلتُه فى ربابة جاريتى ، وأنا لا آكل البيْض من السوق ، وربابة لَهَا عشر دجاجات وديكٌ فهى تجمع لى البيض ، فهذا القول عندها أَحْسنُ من « قِفَا نَبك مِنْ ذكرى حبيب ومنْزلِ » عندك !

وكثيرًا ما تجد الشَّاعر يسْهُلُ أَحْياناً ويلين حتى يُشْبه شعره لغة الخطاب . ويخشُن آونة ويصلُب حتى كأنه يقذفك بالجَلْمَد ، كل ذلك على حسب موضوعه الذى يقول فيه والطبقة التى يُنشدها شعرَه . ومن خير الأَمثلة لهذا النوع أَبو نواس ، فإنه فى خمرياته غيرُه فى مدائحه ووصفه .

واعتبر هذا الأَصل بما كان من النبى صلى الله عليه وسلم ، فإنه لما أَراد أَن يَكتب إلى مَلك فارس اختار أَسهل الأَلفاظ وأَوضحها فقال :

« من محمد رسول الله إلى كسرى عظيم فارس سلامٌ على من اتبع الهدى وآمن بالله ورسوله ، وأَدعوكَ بدِعايةِ الله ، فإنى أَنا رسول الله إلى الخلق كافَّة لينذر من كان حيًّا ويحِق القولُ على الكافرين ، فأَسلمْ تسلم ، فإن أَبيْتَ فإثمُ المجوس عليك » .

وحين أَراد أَن يكتب إلى أُكَيْدِر صاحبِ دومةِ الجنْدل فَخَّم الأَلفاظ وأَتى بالجزْل النادر فقال :

« من محمد رسول الله لأُكيْدِر حين أَجاب إلى الإسلام وخلَع الأَنداد والأَصنام ، إن لنا الضَّاحيةَ [١] من البَعْل [٢] والبُور [٣] والمَعامَى [٤] وأَغفالَ الأَرض [٥] والْحَلْقةَ [٦] والسلاح ، ولكم الضَّامِنَةُ من النَّخل [٧] والمعين [٨] من

(١) الضاحية (من النخل) : النخلة الظاهرة البارزة الخارجة عن أسوار المدينة والعمران .
(٢) البعل : النخل الراسخة عروقه فى الأرض . (٣) البور : الأرض الخراب التى لم تزرع .
(٤) المعامى : جمع معمى وهى الأراضى المجهولة . (٥) أغفال الأرض : الأراضى التى لا أثر للعمارة فيها .
(٦) الحلقة بسكون اللام : السلاح عاماً . (٧) الضامنة من النخل : ما كان داخلا فى العمارة وأطاف بها سور المدينة . (٨) المعين : الماء الجارى على وجه الأرض وقيل الماء العذب الكثير .

المعمور ، لا تُعْدل سارِحَتُكم (١) ولا تُعَدُّ فاردَتُكم (٢) ولا يُحْظَرُ عليكم النَّبات،تقيمون الصلاة لوقتها وتؤدون الزكاة ، عليكم بذلك عهد الله وميثاقه».

وتكون مطابقة الكلام لمقتضى الحال أيضاً فيما يتصرف فيه القائل من إيجاز وإطناب : فللإيجاز مواطنه ، وللإطناب مواقعه ، كل ذلك على حسب حال السامع وعلى مقتضى مواطن القول ؛ فالذكىّ الذى تكفيه اللَّمحة يحسن له الإيجاز ، والغبىّ أو المكابر يجمل عند خطابه الإطناب والإسهاب .

وإذا تأملت القرآن الكريم رأيته إذا خاطب العرب والأعراب أوجز كلّ الإيجاز ، وأخرج الكلام مخرج الإشارة والوحْى ، وإذا خاطب بنى إسرائيل أو حكى عنهم أسهب وأطنب فمما خاطب به أهل مكة قوله تعالى :

«إنَّ الذِين تدْعُون مِنْ دُون اللهِ لَنْ يخْلُقُوا ذُباباً ولَوِ اجْتَمعُوا لَهُ ، وإنْ يسْلُبْهُمُ الذبابُ شَيْئاً لا يَسْتنْقِذُوهُ مِنْهُ ، ضَعُف الطَّالِب والْمطْلوبُ».

وقَلما تَجدُ خِطاباً لبنى إسرائيل إلَّا وهُو مسهب مطوّلٌ ، لأَن يهودَ المدينة كانوا يرون أنفسهم أهل علم وأهل كتاب فتجاوزوا الحد فى المكابرة والعناد ، وقد يكون القرآن الكريم نزَّلهم منزلة قصار العقول فأطنب فى الحديث إليهم ، ويشهد لهذا الرأى ما حكاه عنهم وعن مقدار معرفتهم بما فى أسفارهم .

وللإيجاز مواطن يحسن فيها ، كالشكر والاعتذار والتعزية والعتاب إلى غير ذلك ، وللإطناب مواضع كالتهنئة والصلح بين فريقين والقَصص والخطابة فى أمر من الأُمور العامة ،وللذوق السليم القولُ الفصل فى هذه الشئون .

* * *

أما الأَمر الثانى الذى يبحث فيه عِلْم المعانى فهو دراسة ما يستفاد

---

(١) لا تعدل سارحتكم . السارحة : الماشية ، يريد أن ماشيتهم لا تصرف عن مرعى تريده .
(٢) لا تعد فاردتكم . الفاردة : الزائدة على الفريضة ، يقول : لا تضم فاردتكم إلى غيرها فتعد معها وتحسب .

من الكلام ضمناً بمعونة القرائن ، فإنه يريك أن الكلام يفيد بأصل وضعه معنًى ولكنه قد يؤدى إليك معنى جديدًا يفهم من السياق وترشد إليه الحال التى قيل فيها ، فيقول لك إن الخبر قد يفيد التحسر ، والأمر قد يفيد التعجيز ، والنهى قد يفيد الدعاء ، والاستفهام قد يفيد النفى ، إلى غير ذلك مما رأيته مفصَّلاً فى هذا الكتاب .

ويقول لك إن الخبر قد يلقى مؤكدًا لخالى الذهن ، وقد يلقى غير مؤكد للمنكر الجاحد ، لغرض بلاغى بديع ، أراده المتكلم من الخروج عما يقتضيه ظاهر الكلام .

ويرشدك علمُ المعانى إلى أن القصر قد ينحو فيه الأديب مناحىَ شتى ، كأن يتجه إلى القصر الإضافى رغبةً فى المبالغة ، فيقول المتنفائل :

وما الدنيا سِوَى حُلمٍ لذيذ تُنَبِّهُهُ تَباشِيرُ الصَّباح

ويقول المتشائم :

هل الدَّهْرُ إلَّا ليْلَةٌ طال سُهْدُها تَنفَّسُ عنْ يوْمٍ أَحمَّ عصِيب

وقد يكون من مرامى القصر التعريضُ كقوله تعالى : « إنما يتذكرُ أُولو الأَلباب » إذ ليس الغرض من الآية الكريمة أن يعلم السامعون ظاهر معناها ، ولكنها تعريض بالمشركين وأنهم لفرط عنادهم وغلبة الهوى عليهم فى حكم من لا عقل له .

ويَهديك علم المعانى إلى أن من أغراض الفصل فى بعض أنواعه تقريرَ المعنى وتثبيته فى ذهن السامع ، كما فى الفصل لكمال الاتصال وشبهه .

ولعل فى هذه الكلمة الموجزة مَقنعاً فى بيان ما لعلم المعانى من الأثر فى بلاغة الكلام ، وما يُمَدُّ به الناشئ فى الأدب من أساليب ، وما يرسمُ له من طريق لحسن تأليفها واختيار الأحوال والمواطن التى تقال فيها .